المسلمون ووداء الفرقة

تأليف
الدكتور طلعت محمد عفيفي
عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)

رقعتها .

يقول الشاعر محمود غنيم - في تصوير هذا الحاضر الأليم للأمة الإسلامية - : -

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد

تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

والجدير بالذكر أن هذا الوضع المتردي لم ينشأ بسبب فقر في الإمكانات المادية ، أو ضعف في القوة البشرية ، فبلاد المسلمين - بحمد اللّه - غنية بمواردها المادية بما يكفيها ويزيد ، وأعدادهم تربو على المليار وتزيد .

ولم ينشأ هذا الوضع - أيضًا - لافتقار المسلمين إلى مقومات الحضارة والتمدن ،

فالتاريخ يسجل - بأحرف من نور - أن المسلمين الأوائل أسسوا حضارة عالمية لزمن طويل ، كانوا فيه سادة الدنيا ، وقادة البشرية ، وأن الأسباب التي بوأتهم هذه المكانة في الماضي - من عقيدة وشريعة وأخلاق - لاتزال محفوظة لا يمسها سوء .

ومع توفر أسباب التمكين لدى المسلمين إلا أن المسلمين تخلوا عن الحرص عليها ، والتمسك بها ، فضعفت قوتهم ، وخارت عزائمهم ، فهيئوا بذلك الفرصة لأعدائهم كي ينقضوا عليهم انقضاض الوحش على فريسته ، أو كتداعي الأكلة على قصعتها كما تنبأ بذلك الحبيب المصطفى ﷺ وأخبر به في حديثه الشريف .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للّه رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

ونشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، شهادة نحيا بها ، ونموت عليها ، ونلقى اللّه بها .

وبعد . . .

لا يخفى علينا - نحن المسلمين - ما تعانيه أمتنا من صعوبات ، وما تواجهه من مشكلات وأزمات ، دون أن يستثنى من ذلك قطر من أقطار الأمة على اتساع

وصدق الشاعر حافظ إبراهيم وهو يجمل هذا المعنى في أبيات له فيقول :

وكيف يذل المسلمون وبينهم
كتابك يُتلى كل يوم ويُكْرَمُ
نبيك محزون وبيتك مطرق
حياءً وأنصار الحقيقة نُوَّم
عصينا وخالفنا فعاقبت عادلاً
وحكَّمت فينا اليوم من ليس يرحم

وعلى مدى القرون الماضية عكف أعداء الإسلام على دراسة العالم الإسلامي دراسة مستفيضة ، وتوصلوا من خلال هذه الدراسة إلى معرفة عوامل القوة لدى المسلمين ، والأسباب التي جعلتهم

يفقدون هذه القوة في الأعصار الأخيرة ، وتأكد لديهم أن بإمكان المسلمين استعادة مجدهم واسترداد مكانتهم ، وذلك إذا تمكنوا من توحيد صفوفهم ، والعودة إلى منهاج ربهم .

يقول مونتجمري : - « إن فكرة الأمة كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يُسْبَقْ إليها ، ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعًا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع المسلمين إلى أمة واحدة تختفي فيها الحواجز والأجناس وعصبيات النسب والسلالة » [١] .

(١) موقف الإسلام من الفتن والتآمر ص ٧٣ محمد بهي الدين سالم - من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . العدد ٥٢ سنة ١٩٦٥م - السنة الخامسة .

من أجل ذلك دأب أعداء الإسلام على ألا تعود للمسلمين هذه المكانة ، لا سيما وقد امتلك هؤلاء الأعداء نواصي الأمور في العصر الحاضر ، فقاموا بغزو المسلمين فكريًّا لإبعادهم عن دينهم ، وإقصائهم عن شريعتهم ، وغزوهم عسكريًّا ، فاستولوا على أراضي المسلمين ، ومزقوا وحدتهم وعاثوا في أرض المسلمين فسادًا بكافة الوسائل التي أتاحتها لهم الحضارة الحديثة .

ولمعرفة الأعداء بأن مصدر القوة الحقيقي للمسلمين في وحدتهم - إذ لا فائدة من قوى الأفراد ما دامت مبعثرة - لأجل ذلك تواصى أعداء الإسلام - القدامى منهم والمعاصرون - على ضرورة القضاء التام على

أي شكل من أشكال الوحدة في العالم الإسلامي ، وهم يعلنون ذلك دائمًا ويخططون له دون خفاء أو استحياء .

وقد أثمرت جهودهم في هذا المجال ثمارهم المرة ، فأضحى العالم الإسلامي دويلات ممزقة ، تزيد عن الأربعين في العدد ، لكنها - من حيث القيمة والتأثير - غثاء كغثاء السيل ، لا يربط بينها سوى المجاملات والعلاقات الدولية ، والتي تستوي فيها دولة مسلمة مع أخرى كافرة سواء بسواء .

ومنذ أن سقطت الخلافة الإسلامية - وحتى الآن - لم يستطع المسلمون أن يشكلوا

لأنفسهم رأيًا واحدًا ، أو يتحدث عنهم لسان واحد في القطر الواحد ، فضلاً عن أن يكون ذلك في عامة الأقطار ، وانعدم - تبعًا لذلك - تأثيرهم في مجريات الأمور في العالم المعاصر ، وغابوا - أو غُيِّبُوا - عن المكانة اللائقة بهم ، وصارت مواقفهم مجرد ردود أفعال يقوم بها الآخرون .

وآلمني وآلم كل حر
سؤال الدهر أين المسلمونا

ومن المؤسف أن داء الفرقة لم يقتصر على عوام الناس في هذه الأمة ، بل امتد إلى صفوف العاملين للإسلام ، فبدلاً من تعاون هؤلاء العاملين ، لا سيما في هذه

الظروف الصعبة التي تكالبت فيها الدنيا بأسرها على الإسلام والمسلمين ، بدلاً من ذلك راح كل فريق يلمز الآخر ، ويدعي أن ما لديه صوابًا لا يحتمل الخطأ ، وما لدى غيره خطأ لا يحتمل الصواب .

ولئن كان - منطقيًّا - وجود أعداء يحاربون الإسلام ويكرهونه من غير المسلمين ، فإن مصيبة المصائب أن يعادي المسلمون بعضهم بعضًا ، ويتحول بأسهم بينهم بدلاً من أن يكون على أعدائهم فيكون الضرر - حينئذ - أفدح ، والخطأ أشد ، وصدق من قال :

ما يبلغ الأعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

وتفاعلاً مع هذا الواقع الأليم رأى كثير من دعاةِ الإسلام الفاقهين أن **فريضة الوقت** هي في محاولة جمع شمل المسلمين عامة ، والعاملين منهم للإسلام خاصة ، إذا كنا جادين - فعلاً - في أن نعيد للأمة الإسلامية عزها المفقود ، ومكانتها الضائعة .

ولا يخفى دور الدعاة في تحقيق هذا الهدف المنشود ، وتيسير السبل المؤدية إلى تحقيقه ، ومن بينها العمل على توحيد الصفوف ، وجمع شمل الأمة . . . هذا الدور الذي نلمحه من خلال متابعة الآيات الآمرة بالوحدة وعدم الفرقة ، والتي تلتها مباشرة دعوة القرآن إلى تشكيل

جماعة من الدعاة ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتدعو إلى الخير . يقول تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ . ويقول - في الآية التي بعدها - : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

وكأن القرآن بهذا الربط يشير إلى ضرورة أن يضطلع الدعاة بمهمتهم في هذا المجال وفي تذييل الآية بقولة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ما يحمل البشارة لهم بالفلاح إذا سلكوا هذا الطريق ، وكأنه لا فلاح إلا

(١) سورة آل عمران : (١٠٣ - ١٠٤) .

فيهم وحدهم .

وانطلاقا من إحساسي بهذه المسئولية ، وإسهامًا في إزاحة كابوس الفرقة الذي خيم على المسلمين - العامة والمتدينين منهم على السواء - فإنني أتقدم بهذا البحث المتواضع ، والذي أسميته « **المسلمون وداء الفرقة** » .

وفي تناول هذا الموضوع في هذه الآونة بالذات أهمية تبدو فيما يلي :

١ - أن في معالجة داء الفرقة بين المسلمين في أرجاء الأرض ما يجعل لهم قوة وتأثيرًا ؛ إذ بالوحدة يتحقق التكامل بين شتى الأقطار الإسلامية - علميًّا واقتصاديًّا

وسياسيًّا وعسكريًّا واجتماعيًّا - فيفلتون بذلك من قبضة التبعية التي فرضها عليهم أعداؤهم ، ويصبحون ذوي قيمة في عالم لا يقيم وزنًا للصغار .

٢ - أن العصر الحالي يشهد صحوة إسلامية عالمية ، يعترف بها القاصي والداني ، ويحاول أعداء الإسلام أن يخترقوا هذه الصحوة من داخلها بإشاعة الفرقة والانقسام بين صفوفها .

وفي معالجة هذا الأمر لدي أبناء الصحوة الإسلامية ما يفوِّتُ على أعدائهم فرصة الفتك بهم ، والقضاء عليهم .

هذا وقد قسمت بحثي إلى :

١ - مقدمة .

٢ - ثلاثة فصول .

٣ - خاتمة .

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وعناصر البحث فيه .

وأما الفصول الثلاثة فقد اشتملت على بيان الآثار السلبية للفرقة ، وموقف الإسلام منها ، وأسباب وقوعها ، ومظاهرها في حياة العامة والمتدينين ، وغير ذلك مما له علاقة وثيقة بموضوع الفرقة .

وأما الخاتمة فقد اشتملت على نتائج البحث والتوصيات فيه .

وختامًا :

أرجو من اللّه العلي القدير أن يسهم هذا البحث في تحقيق ما تصبو إليه الآمال ، وتستشرف إليه النفوس من توحيد كلمة المسلمين ، وإصلاح ذات بينهم .

واللّه تعالى من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

الدكتور طلعت محمد عفيفي

عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

الفَصْلُ الأولُ

الآثار السلبية للفرقة
ودور الإسلام في مواجهتها

تمهيدٌ

الفرقة تعني التشرذم والاختلاف ، وهي ضد التجمع والاتحاد .

جاء في لسان العرب : - « الفُرقَة مصدر الافتراق . قال الأزهري : اسم يوضع موضع المصدر الحقيقي من الافتراق . . وفارق الشيء مفارقة وفراقًا : باينه ، والاسم : الفُرقة ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضًا » [١] .

والفرقة - بهذا المعنى - داء ينخر في عظام الجماعة ، فيحيل قوتها ضعفًا ، وشدتها عجزًا .

---

(١) انظر (لسان العرب) ابن منظور - مادة فرق .

وإذا كان الحكم على الشيء فرعًا عن تصوره ، فإنني أضع بين يديك - أخي المسلم - الآثار السلبية للفرقة ، مدعمًا ما أقول بالأدلة النظرية والتطبيقية قدر المستطاع .

١ - الفرقة تبديد للجهود ، وبعثرة للقُوَى :

من الأمثلة الشائعة الجارية مجرى الحكمة قولهم : (**المرء قليل بنفسه ، كثير بإخوانه ، ضعيف بمفرده ، قوي بجماعته**) .

فالضعفاء إذا اجتمعوا نتج عن اجتماعهم قوة ، والأقوياء إذا تفرقوا تسلل الضعف إلى جميعهم ، وتبددت قواهم .

وليس هذا في عالم الإنسان فقط ، بل هي سنة جارية من سنن اللّه في الكون

تخضع لها الماديات أيضًا .

فعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ - اللبنات المتناثرة - وإن كثرت ومهما تكن متانة كل واحدة منها - واهية ضعيفة فإذا انضم بعضها إلى بعض في حائط أو جدار نتج عن ذلك قوة يصعب تحطيمها ، لا سيما إذا تضامت اللبنات وتكاثرت وروعي في المادة التي تربط بينها أن تكون من نوع جيد .

٢ - الخيوط الواهية لا تصنع شيئًا ، فإذا ضم بعضها إلى بعض أمكن - من مجموع هذه الخيوط - أن نصنع حبلاً متينًا يجر الأثقال .

٣ - حبيبات الرمل بمفردها ضعيفة ، فإذا تجمعت صارت تلالاً وجبالاً ،

وحبيبات المطر إذا تفرقت انعدمت فائدتها ، فإذا تجمعت كونت أنهارًا .

٤ - إذا صادف الإنسان شيء صلب وأراد أن يكسره لم يكن ليقدر على ذلك باستعمال أطراف أصابعه ، فإذا أقبل على هذا الشيء بكل يده أمكنه الوصول إلى مراده .

فإذا انتقلنا من عالم الماديات إلى عالم الإنسان تداعت أمامنا صور كثيرة تدلل على هذه الحقيقة ، وبعض هذه الصور يتداولها الناس على سبيل الحكمة والعظة ، وبعضها يؤيده الواقع .

فمن قبيل الأول ما ذكر أن رجلاً حكيمًا هو المهلب بن أبي صفرة أراد أن يعطي أولاده درسًا عمليًّا في ضرورة الحرص على

وحدتهم وتماسكهم وألا يتفرقوا ، فأحضر لهم عددًا من الرماح قد اجتمعت وتماسكت ، وأمر كل واحد منهم أن يقوم بكسرها فعجزوا جميعًا ، فلما حل رباطها أمكن كسرها بسهولة ويسر فأنشد يقول :

كونوا جميعًا يا بني إذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا آحادًا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا
فإذا افترقن تكسرت آحادًا

ولا أجد ما يؤيد هذه الحقيقة من الواقع أفضل من حياتنا نحن المسلمين ، فإن اللّه قد منحنا من مقومات القوة والسيادة الكثير والكثير ، فالموقع متميز ، والمناخ معتدل في

معظم المواقع ، والتربة صالحة ، والأنهار جارية ، والكنوز المدفونة في الأرض لا تقدر بثمن ، والثروة البشرية تفوق المليار ، ولو أن هؤلاء اجتمعوا على تعاليم القرآن لدكت الجبال دكًّا ، وسادت العالم شرقًا وغربًا ، ولكن داء الفرقة بدد هذه الإمكانات العظيمة ، وأوقع جميع المسلمين في قبضة التبعية لأعدائهم .

ولا مخرج من هذا المأزق إلا بالتخلي عن الفرقة .

جاء في رسالة بعنوان (**وحدة الأمة دعوة وبلاغ**) [1] ما نصه :

(١) المرجع المذكور (ص ١٣) - طبعة سنة ١٩٨٨ م - إصدار المجلس الإسلامي - إسلام آباد .

« مثل العالم الإسلامي اليوم مثل آلة جبارة لكنها مفككة ، كل قطاع منها قد وضع في حيز وعزل عن سائرها ، بحيث يمكنه أن يتحرك حركته الخاصة بمعزل عن حركة سائر الأجزاء ، فإذا نظرت للأجزاء وهي تتحرك فربما ظننت أن الآلة تعمل ، أو يمكن لها أن تعمل ، بينما هي - في حقيقة الأمر - معطلة ، وذلك أن شرط أدائها لوظيفتها أن تترابط أجزاؤها ، وتعمل في « كل موحد » .

كذلك الحال بالنسبة لعالمنا الإسلامي ، فلكي يصبح ذا حركة وفاعلية لابد له أن يتوحد ، وتترابط أجزاؤه في تكامل تام ، وبدون هذا التوحد سيظل - كما هو -

كالأشل لا يستطيع المشي - وإن تحركت أعضاؤه - وكالآلة المفككة تبدو عاملة وهي معطلة » ا.هـ .

٢ - الفرقة ضعف وهوان :

يستتبع بعثرة القوى وتبديد الجهود أن يصير المتفرقون لقمة سائغة في أيدي أعدائهم ، يفرضون عليهم ما يشاؤون دون أن يجدوا أدنى معارضة ، ولذلك قيل في المثل : « **فَرِّقْ تَسُد** » .

ولعل من المناسب - في هذا المقام - أن أورد قصة رمزية [1] تشير إلى هذا المعنى

(١) أقصد بالقصة الرمزية ما يشبه ذلك القصص الذي أورده صاحب كتاب (كليلة ودمنة) وفيه أجرى الحوار على ألسنة الحيوانات بقصد العبرة والعظة .

الذي نحن بصدد الكلام عليه .

ومجمل هذه القصة أن أسدًا كان يعيش في غابة ، وإلى جواره ثلاثة ثيران : أبيض وأسود وأحمر ، وقد أراد الأسد أن يفترسهم فلم يتمكن من ذلك لاجتماعهم ، فعمد إلى حيلة يفرق بها هذا الجمع ، وأمكنه - بمقتضى ذلك - أن ينال غرضه ، ويحقق هدفه .

فماذا فعل ؟

لقد جاء - أولاً - إلى الثورين : الأحمر والأسود ، متظاهرًا بالحرص عليهما ، وادعى أن الثور الأبيض فاقع اللون ، وأن ذلك من شأنه أن يعرض حياة الجميع للخطر بسبب تعرف الصيادين عليهم من وراء لونه

هذا ، وأنه من قبيل الحرص على نفسه وعليهما يستأذنهما في أكل هذا الثور ، لإزالة الخطر المحدق به وبهما .

وانطلت هذه الأكذوبة على الثورين : الأحمر والأسود ، فأذنا له فأكله .

وبعد فترة زمنية جاء الأسد إلى الثور الأحمر، ومثل معه نفس الدور ، ولا زال به حتى أقنعه بضرورة التخلص من الثور الأسود ليعيشا معًا في أمان ، فأذن له فأكله .

وبعد فترة زمنية أخرى رأى الأسد أن يقضي على هذا الثور أيضًا ، فلم يجد منه أدنى مقاومة ، وهنا قال الثور الأحمر كلمة يقولها الناس على سبيل المثل :

« لقد أكلت يوم أكل الثور الأبيض »

ونستخلص من هذا أن اتحاد العدد القليل يقويهم ، ويعوضهم بقوة الوحدة عن ضعف القلة ، في حين أن تفرق العدد الكثير يضعفهم فلا تفيدهم كثرتهم شيئًا .

وقد أثبت الواقع صدق هذه الحقيقة ، فما تفرقت كلمة أمة إلا وأعطت النور الأخضر لأعدائها كي يستولوا عليها ، ويذيقوها صنوف الذل والهوان ، في حين أن توحدها ، واجتماع كلمتها يجعلها عزيزة الجانب ، مرهوبة المكانة .

ولننظر - أيضًا - في حالنا نحن المسلمين لنتأكد من صحة هذه الحقيقة وصدقها .

لقد عاش المسلمون لفترات طويلة سادة الدنيا ، وأساتذة العالم ، ولم يكن السلف الصالح - رضوان اللّه عليهم - يحسبون حساب القوة العددية ، والإمكانات المادية لأعدائهم ، وإنما منحهم اللّه نصره ، وأمدهم بمدد من عنده حين اعتصموا بحبل اللّه جميعًا ، ووثقوا صلتهم بخالقهم ، فكان أن دانت لهم الدنيا ، وتهاوت تحت أقدامهم عروش كسرى وقيصر .

ومع هذا فقد تسلل داء الفرقة إلى صفوف المسلمين في فترات متفاوتة ، فألمت بهم المحن ، وتحيفتهم المكاره ، ونال أعدائهم منهم .

ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - أول الأمثلة كان مع رسول اللّه ﷺ وصحابته الأطهار الأخيار ، وذلك في غزوة أحد ، والمعروف أن هذه الغزوة وقعت عقب غزوة بدر ، والتي حقق فيها المسلمون نصرًا عظيمًا أغاظ المشركين ، فحشدوا قواهم ، وجمعوا جموعهم ، بغية الانتقام مما نالهم من هزيمة في غزوة بدر .

وما إن اقترب المشركون من حدود المدينة حتى جمع النبي ﷺ أصحابه - كعادته - واستشارهم فيما يفعل ، فأشار عليه الشباب ، والذين لم ينالوا شرف المشاركة في بدر أن يخرج لملاقاة الأعداء خارج المدينة ، حتى لا يتوهموا أن المسلمين جبنوا عنهم ، أو عجزوا عن ملاقاتهم ، فنزل الحبيب

المصطفى ﷺ على مشورتهم - رغم أنه كان يرى غير ذلك - وتم لقاء المسلمين مع الكفار عند جبل أحد .

ورغم حماسة الشباب للقاء أعدائهم ، ورغم أنهم جميعًا صحابة وهم خير الأجيال ، إلا أن المسلمين تلقوا في هذه الغزوة درسًا موجعًا ، وذاقوا مرارة الهزيمة .

فما سر هزيمتهم ؟ .

إن القرآن يذكر أن من أول الأسباب التي أدت إلى هذا تسلل الفرقة والتنازع إلى صفوف المسلمين ، بعد أن كان بينهم وبين النصر قاب قوسين أو أدنى .

يقول اللّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ

وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۖ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ . . . ﴾ [1] .

٢ - وثاني هذه الأمثلة من حياة الخلفاء الراشدين ﷺ حيث يُذكَر بالفخر أن المسلمين خلال هذه الحقبة كانوا على قلب رجل واحد ،

(١) سورة آل عمران : (١٥٢ - ١٥٣) .

ومن ثم اتسعت في أزمانهم الفتوح ، وشرَّق الإسلام وغرَّب حتى وصل إلى معظم الأرض وقتئذ ، وما إن ذر قرن الخلاف بين المسلمين في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حتى توقفت الفتوحات ، بل أَطمعَ ذلك أعداءَ الإسلام في المسلمين ، وكادوا يظفرون ببعض ما أرادوا ، لولا تفطن المسلمين واستدراكهم للأمر .

جاء في كتاب (**البداية والنهاية**) للحافظ ابن كثير ما نصه [1] : « لما كان من أمر الخلاف بين علي ومعاوية لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية ، لا على يدي علي ، ولا

(١) المرجع المذكور (ج ٨ ص ١١٩) طبعة سنة ١٩٧٨م - دار الفكر بيروت .

على يدي معاوية » .

ويضيف قائلاً : « لما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي ، تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب معاوية إليه : واللّه لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم ، وانكف ، وبعث يطلب الهدنة » ا.هـ .

٣ - وثالث هذه الأمثلة من واقعنا المعاصر ، حيث يصل عدد المسلمين الآن إلى أكثر من مليار ، ولكن تسلل داء الفرقة إلى

صفوفهم أحال قوتهم ضعفًا ، وشدتهم عجزًا ، وأطمعَ فيهم أعداءهم على اختلاف مللهم ونحلهم ، فعلى سبيل المثال :

أ - يمارس اليهود مع الشعب الفلسطيني المسلم أبشع وسائل القمع ، رغم أن عدد اليهود في فلسطين حوالي أربعة ملايين ، ويعجز المسلمون - بسبب فرقتهم - عن فعل أي شيء تجاه صلف وغرور إسرائيل ، اللّهم إلا الشجب والاستنكار .

ومما يذكر بهذا الشأن أن أحد العرب سئل عام ١٩٦٧م عن سر هزيمة العرب وهم عشرون دولة أمام إسرائيل ، فقال : هُزِمْنَا لأننا عشرون دولة أمام دولة واحدة .

ب - على صعيد آخر يمارس الجنود الروس مع مواطني الشيشان المسلمين ما تقشعر له الأبدان ، ولا يكلف المسلمون أنفسهم ولو مجرد قطع العلاقات الدبلوماسية مع هذا البلد المعتدي .

جـ - وعلى صعيد آخر - وفي شبه القارة الهندية - يمارس الهندوس أبشع وسائل التنكيل بالمسلمين في كشمير ، وكذلك ثوار التاميل في سريلانكا ، والبوذيون في بورما ، وغيرهم وغيرهم ، ودماء المسلمين تنزف في كل بقعة ، ويكفي أن يضع الواحد منا أصبعه - عشوائيًّا - على أي مكان من خريطة العالم ، فستقع أصبعه على خط أحمر ينزف بدماء المسلمين .

تُرى : لو كان للمسلمين رأي واحد أكان لأمثال هؤلاء أن يمثلوا بالمسلمين على هذا النحو .

إن المسلمين ما أعانوا أعداءهم على التنكيل بهم ، والنيل منهم بمثل ما أعانوهم بتفرق كلمتهم ، وتمزيق وحدتهم .

من أجل هذا - وغيره - رأينا الإسلام يقف موقفًا حازمًا من الفرقة والداعين إليها ، بحيث يمكن القول - إجمالاً - بأنه لا يوجد دين من الأديان دعا أهله إلى الوحدة والألفة ، وحذرهم من الاختلاف والفرقة مثل الإسلام .

ومن ثم ننتقل إلى النقطة التالية ، وهي

(**موقف الإسلام من إشاعة الفرقة**) وذلك بعرض النصوص القرآنية ، ثم الأحاديث النبوية ، مع شرح موجز لكل نص منها .

ونبدأ أولاً بعرض النصوص القرآنية ، مشيرين إلى أن منها ما يتحدث عن الموضوع مباشرة ، ومنها ما يشير إليه ضمنًا .

ونبدأ بالتعرف على النوع الأول .

١ - يقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

هذه الآيات تعد في طليعة ما يستشهد به من الأدلة على أهمية الوحدة وعدم الفرقة . وعند التأمل والتدقيق نجد الآيات تشتمل على ما يلي :

أ - أن تصدير الأوامر المذكورة في هذه الآيات بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يدل على أن تنفيذ ما جاء فيها من أوامر ، والتخلي عما

(١) سورة آل عمران : (١٠٢ - ١٠٥) .

جاء فيها من نواهي هو مقتضى الإيمان الحق ، وأن المؤمنين باللّه هم أسرع الناس إلى تنفيذ هذه التعاليم مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ب - ربط اللّه تعالى في هذه الآيات بين الأمر بتقواه ، وبين الاعتصام بحبل اللّه ، وعدم التفرق ، وهو مما يؤكد على ضرورة العناية بالأمرين معًا ، وأن أحدهما لا يقل أهمية عن الآخر .

وينبثق عن هذه النقطة أن التفريط في أحد هذه التوجيهات يعرض إيمان الشخص

(١) سورة النور : (٥١) .

للضياع ، أو على الأقل النقصان ، فكما أن التخلي عن تقوى اللّه يجعل صاحبه في عداد المرتدين أو العاصين - على تفصيل في دافع المعصية - فإنه بالقياس على ذلك يُعَدُّ المفرطون في أوامر الوحدة والمصرون على الفرقة بمنزلة هؤلاء المرتدين أو العاصين ، وينالهم من الذم ما ينال تارك تقوى اللّه ، وإن بقيت صورة الإسلام ماثلة في كل شخص على انفراد .

ومما يؤيد هذا الاستنباط أن اللّه تبارك وتعالى حذر المسلمين من دسائس اليهود - في الآية التي تسبق هذه الآيات مباشرة - وكانوا قد حاولوا إيقاع الفرقة بين صفوف المسلمين فقال اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ (١) .

وليس المراد تحويلهم من الإيمان إلى الكفر ، بل المراد تمزيق صفوفهم ، وتفريق وحدتهم ، فعبر عن الوحدة بالإيمان ، وعن التفرق بالكفر ، واللّه أعلم .

ويؤيده كذلك ما جاء في الحديث :

« لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض » (٢) .

(١) سورة آل عمران : (١٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦/١) كتاب العلم - باب الإنصات للعلماء - طبعة ثانية سنة ١٩٨٧ - بتحقيق الدكتور مصطفى البغا - دار اليمامة للطباعة والنشر - دمشق / وأخرجه مسلم (جـ ١ - ص ٨٢) كتاب الإيمان - باب بيان معنى قول النبي ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض » - طبعة دار إحياء التراث العربي - بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

ففي تعبير النبي ﷺ بقوله (كفارًا) يتأيد ما سبقت الإشارة إليه من تنفير المسلم من الفرقة ومظاهرها ، كالتنفير من الردة ، والتي يصير بها الشخص كافرًا ، واللّه أعلم .

ب - وفي التأكيد بقول اللّه تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ عقب النداء بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ما يفيد ضرورة الحرص على حب كل المسلمين ، والتآخي بينهم ، دون أن تكون ثمت حواجز من أي نوع : جغرافية ، أو عرقية ، أو فكرية ، أو غير ذلك وهو ما تشير إليه كلمة ﴿ جَمِيعًا ﴾ .

جـ - في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ فذكر لنا امتنانه - سبحانه - وتفضله بتأليف القلوب ، وأكد ذلك بذكر كلمة ﴿ نِعْمَتَ ﴾ مرتين في سطر واحد من كتاب اللّه ، وفي هذا ما يشير إلى أن تآلف القلوب من أجلِّ النعم التي لا يستطيعها إنسان مهما أنفق في سبيلها ، وصدق اللّه إذ يقول : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

ولئن كان تأليف القلوب من أجلِّ النعم - كما اتضح لنا - فإن التنازع والاختلاف - على أساس مفهوم المخالفة - يكون من أشرِّ النقم ، وأكبر الذنوب ، ولا

(١) سورة الأنفال : (٦٣) .

حول ولا قوة إلا بالله .

د - وفي الأمر بتشكيل مجموعات من الدعاة تعني بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وذلك عقب الأمر بتقوى اللّه والاعتصام بحبل اللّه جميعًا - ما يؤكد على أن في طليعة ما يجب أن يضطلع به هؤلاء الدعاة توطيد علاقة الناس بخالقهم ، ودعوتهم إلى الالتفاف حول المنهج الإلهي ، واطراح التنازع والفرقة .

هـ - وفي التعقيب على هذا كله بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ دعوة إلى المسلمين إلى ضرورة

الحرص على استقلال شخصيتهم الإسلامية ، وتحذيرهم من الدوران في فلك الآخرين دون وعي أو تدبر ، وتهديدهم بأن ما نال السابقين من عذاب عظيم بسبب فرقتهم يمكن أن ينالهم كذلك ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (١) .

وهكذا تكون الآيات قد طرقت كافة الأبواب التي تدعو إلى الوحدة ، وتنهى عن الفرقة ، واللّه أعلم .

٢ - يقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

(١) سورة فاطر : (٤٣) .

وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [١] .

في هذه الآيات الكريمات يضع اللّه تعالى أيدي المسلمين على منهج التعامل مع خصومهم في المعارك إذا أرادوا الانتصار عليهم ، وذكر من بين ما يجب مراعاته ترك التنازع ، والحرص على وحدة الصف .

والآيات - وإن ذُكرت في معرض الحديث عن أسباب الانتصار على الأعداء - فإن العبرة - كما يقول الأصوليون - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فيصلح الاستدلال بها علي أن التنازع والفرقة - بصفة عامة - سبيل إلى الفشل ، وطريق إلى انعدام التأثير ، وهو المعبر عنه في الآية

(٢) سورة الأنفال : (٤٥ - ٤٦) .

بذهاب الريح ، واللّه أعلم .

٣ - يقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [١] .

جاءت هذه الآية الكريمة بعد قليل من آية أخرى سبقتها ، وهي قول اللّه تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [٢] .

وبالتأمل في مجموع الآيتين يتضح لنا أن سبيل اللّه واحد ، وأن المسلمين ملزمون باتباع هذا السبيل الواحد وتجنب كافة السبل التي تبعدهم عنه ، فإذا فعلوا ذلك توحدت

(١) سورة الأنعام : (١٥٩) .
(٢) سورة الأنعام : (١٥٣) .

صفوفهم ، واجتمعت كلمتهم ، وأصبحوا - بمقتضى ذلك - أهلاً لنصرة اللّه ، ومحبة رسول اللّه ، وأما إذا حادوا عن الطريق ، وتشعبت بهم السبل ، وصاروا ﴿ شِيَعٗا ﴾ أي فرقًا ومذاهب يُتَشَيعُ لها ، فليسوا من منهاج رسول اللّه في شيء ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ .

وإلى جانب هذه الآيات التي تتضمن التصريح بأهمية الوحدة وضرر الفرقة توجد آيات أخرى تشير - ضمنيًّا - إلى ضرورة المحافظة على وحدة الجماعة ، والبعد عن الاختلاف والفرقة .

ومن هذه الآيات ما يلي :

١ - قول اللّه تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن

يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾ [١] .

والشاهد في الآية أن اللّه تعالى جعل تفريق الأمة شيعًا يذوق بعضها بأس بعض من أنواع العقوبات التي ينزلها بمن خالفوا أوامره ، وانحرفوا عن منهجه ، وقرن هذه العقوبة بالعذاب الذي ينزله على العصاة من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، فدل ذلك على أن الفرقة داءٌ وبيل ، وشر مستطير ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه [٢] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝

(١) سورة الأنعام : (٦٥) .
(٢) انظر (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) د . يوسف القرضاوي - ص ٣٢ طبعة أولى ١٩٩٠م - دار الصحوة بالقاهرة .

قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (١) .

والشاهد في هذه الآيات أن نبي اللّه موسى عليه السلام شدد النكير على أخيه هارون عليه السلام ، والذي رأى بني إسرائيل يعبدون العجل ، فاكتفى بتوجيه اللوم الخفيف إليهم ، ثم تركهم حتى يعود موسى ، وقد باشر سيدنا موسى الإنكار على أخيه بصورة عملية ، فأخذ برأسه يجره إليه ، وألقى الألواح التي كانت تشتمل على التوراة ، وفيها موعظة وتفصيل لكل شيء ، فكان أن اعتذر هارون عليه السلام عن عدم تشديده في الإنكار على قومه بالخشية من وقوع الفرقة

(١) سورة طه : (٩٢ - ٩٤) .

والاختلاف بين صفوفهم ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ .

ولا شك أن هذه الخشية كانت موقوتة بمدة غياب سيدنا موسى عليه السلام عن قومه حين ذهب لمناجاة ربه ، حتى إذا عاد تفاهم الأخوان في كيفية مواجهة الأزمة .

وهذا يدعم ما ذكرناه من ضرر الفرقة والاختلاف على الأمة (١) .

٣ - قول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ (٢) .

(١) انظر المرجع السابق (ص ٤١ - ص ٤٢) ، وانظر أيضًا (أدب الاختلاف في الإسلام) ص ٣٣ - د . طه جابر فياض العلواني - طبعة ثانية سنة ١٩٨٧م - إصدار المعهد العالي للفكر الإسلامي .
(٢) سورة القصص : (٤) .

والشاهد في هذه الآية أن اللّه تعالى ذكر فرعون في معرض الذم ، وبين الأسباب التي لأجلها استحق هذا الذم ، فذكر من بينها سعيه إلى إشاعة الفرقة والاختلاف بين أهل مصر حتى صاروا شيعًا .

٤ - قول اللّه تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

فقد أوضح ربنا تبارك وتعالى في الآية الثانية من هاتين الآيتين أن الأخوة بين المؤمنين

(١) سورة الحجرات : (٩ - ١٠) .

صفة أساسية فيهم ، وأكد ذلك باستعمال أداة الحصر ﴿ إِنَّمَا ﴾ ، وأوضح في الآية التي قبلها أن من واجب الجماعة المسلمة أن تحافظ على هذه الأخوة ممن يخترقونها بالتقاتل والتنازع فيما بينهم ، وذلك بسلوك طريق الإصلاح - أولاً - فيما بين المتنازعين ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقد أُذِنَ في قتالها حتى تعود الأمور إلى ما يقتضيه الإيمان من التآخي بين عامة المؤمنين .

ولم يكن للإسلام أن يجيز حمل المؤمن السلاح على أخيه - وهو بلا شك ضرر عظيم - إلا لدفع ضرر أشد منه ، وهو تفريق الصف المسلم ، وإشاعة الخلاف بين أفراده .

ونكتفي بهذا القدر من الإشارات القرآنية ، وتبقى آيات أخرى لها بالموضوع صلة وثيقة ، ستأتي في محالها من البحث بإذن اللّه تبارك وتعالى .

وإلى جانب هذه الآيات الكريمات وردت عدة أحاديث تنهى عن الفرقة ، وتبين ما لها من أثر سيئ ، وتدعو إلى الوحدة وجمع الكلمة .

ومن هذه الأحاديث ما هو صريح في الدلالة على هذا المعنى ، ومنها ما يتضمن الإشارة إليه .

فمن قبيل الأول نذكر هذه الأحاديث .

١ - عن عبد اللّه بن مسعود ﷺ عن رسول اللّه ﷺ قال : « **لا تختلفوا فإن من كان**

قبلكم اختلفوا فهلكوا » [١] .

٢ - عن عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول اللّه ﷺ قال : « **عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة** [٢] **فليلزم الجماعة** » [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري (جـ ٢ ص ٨٤٩) كتاب الخصومات - باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي .

(٢) بحبوحة الجنة : جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر (جـ ١ - ص ٩٨) مادة بحبح : بحبوحة الدار : وسطها . يقال : تبحبح إذا تمكن وسط المنزل والمقام .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال عنه : حديث حسن صحيح (جـ ٤ ص ٤٦٦) كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة - طبعة دار إحياء التراث العربي / وأخرجه أحمد بنحوه (جـ ١ ص ٢٦) طبعة دار صادر - بيروت .

فهذه الأحاديث التي ذكرناها صريحة في الدلالة على ضرورة اطِّراح الفرقة والاختلاف جانبًا ، والعمل على جمع الكلمة ، وتوحيد الصف ، مع بيان خطورة الفرقة ، وضرورة الجماعة .

ومن الأحاديث التي تتضمن الإشارة إلى ضرر الفرقة ، وضرورة الوحدة هذه الأحاديث :

١ - عن أبي ثعلبة ﷺ قال : **كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية . فقال رسول اللّه ﷺ : « إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلك من الشيطان » فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض**

حتى يقال : لو بسط عليهم ثوب لعمهم [١] .

فإذا كان التفرق في الأماكن ساعة النزول من الشيطان فكيف بتفرق القلوب ، وتنافر النفوس بين أهل الإيمان ؟ .

٢ - عن أبي الدرداء ﷺ قال : **سمعت رسول ﷺ يقول : « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب القاصية** » [٢] .

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الجهاد - باب ما يؤمر من انضمام العسكر - صحيح سنن أبي داود (جـ ٢ ص ١٩٨) محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ المكتب الإسلامي - بيروت - وأخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٩٣) .

(٢) أخرجه أبو داود - كتاب الصلاة - باب في التشديد في ترك الجماعة - صحيح سنن أبي داود (جـ ١ ص - ١٠٩) محمد ناصر الألباني ، وأخرجه النسائي (كتاب الإمامة - =

وفي هذا الحديث دعوة إلى الجماعة في صورة من صورها وهي الصلاة ، وبيان أن الذين يؤثرون ترك الجماعة يصيرون فريسة سهلة للشيطان ، كشأن الذئب حين ينفرد بشاة قاصية عن الجماعة .

فإذا كان ترك الصلاة في جماعة يؤول بأصحابه إلى هذه النتيجة فكيف بمن يستمرؤون الفرقة والخلاف بينهم وبين بعضهم في كل شيء ، وينبذون تعاليم الإسلام الداعية إلى الوحدة وراءهم ظهريًّا ؟ .

٣ - عن جندب رضي اللّه تعالى عنه عن

= باب التشديد في ترك الجماعة) (جـ ١ ص ١٨٤) من كتاب (صحيح سنن النسائي) محمد ناصر الألباني - طبعة أولى سنة ١٩٨٨ - المكتب الإسلامي - بيروت .

النبي ﷺ قال : « **اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه** » [١] .

والشاهد في الحديث أن قراءة القرآن - رغم ما فيها من فضل عظيم ، وثواب كبير - إذا ترتب عليها اختلاف بين قلوب المسلمين ، فإن من الواجب عليهم - حينئذ - أن يدعوا قراءة القرآن التي هي فضيلة ، محافظة على ألفة القلوب التي هي فريضة . واللّه أعلم .

وهكذا تتضافر نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ضرورة المحافظة على

(١) أخرجه البخاري (جـ ٣ - ص ٢٣٧) كتاب فضائل القرآن - باب اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ، وأخرجه مسلم (جـ ٤ ص ٤٠٥) - باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعيه ، والنهي عن الاختلاف في القرآن .

الوحدة والألفة ، ونبذ الاختلاف والفرقة ، والمعروف أن الأدلة تطَّرد - زيادة ونقصًا - مع أهمية الموضوع المطروح ، ولما كان موضوع الحرص على الوحدة والألفة ، ونبذ الاختلاف والفرقة من الأهمية بمكان فقد كثرت الأدلة عليه من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ [١] .

(١) لم تكن دعوة الإسلام إلى الوحدة والألفة دعوة نظرية مجردة ، وإنما تعاونت أسباب عدة تكفل تضامن المسلمين ، ووحدة كلمتهم ، ونلخصها فيما يلي :

١ - **وحدة العقيدة** : فالمسلمون جميعًا يعبدون ربًّا واحدًا ، ويعتقدون ختم النبوات بنبوة سيدنا محمد ﷺ . ومن شأن هذه العقيدة إذا صحت أن تزيل فوارق الجنس واللغة وغيرها من بين صفوف أصحابها .

٢ - **وحدة العبادة** ، فجميع المسلمين يصلون لقبلة واحدة ، ويصومون في شهر واحد بانتظام واحد ويجب عليهم التوجه إلى الحج مرة في العمر على الأقل للقادر ، وفيه تذوب كافة الأسباب الداعية إلى الفرقة ، وينصهر =

ولا يزال هناك الكثير من الأدلة القرآنية

= الجميع في بوتقة الإسلام لا فرق بين عربي أو عجمي ، ولا فرق بين أبيض وأسود .

٣ - **وحدة السلوك في العادات والأخلاق** : فما يلزم به الإسلام من شمائل وأخلاق كريمة يصطبغ بها المسلمون جميعًا ، فتجدهم ذوي شجاعة ومروءة وحياء وكرم .. إلخ ، ويهذب الإسلام كذلك من عادات المسلمين ، فينهاهم عن شرب الخمر ، وأكل الميتة ... إلخ ، وآداب المسلم التي يلتزم بها في كافة شئونه تكاد تكون متقاربة بين كافة الشعوب الإسلامية ، وكأنهم نسخ متشابهة ، مما حقق الوحدة والألفة بين مجموعهم .

٤ - **وحدة الدستور والقانون** : فجميع القوانين والأحكام تنبثق في الإسلام من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومن ثم لا تختلف من بلد إلى آخر ولا يزال بعضها - رغم مؤامرات الأعداء - باقيًا حتى الآن ، مثل ، قوانين الزواج والطلاق والميراث ، وذلك من شأنه أن يقيم وحدة بين كافة الشعوب الإسلامية .

٥ - **وحدة التاريخ** : فالمسلمون جميعًا يرتبطون بتاريخ الصالحين على مر العصور ، بدءًا من تاريخ الأنبياء ، إلى =

والنبوية لها تعلق بهذا الموضوع رأينا أن

= الصحابة الكرام ، إلى قواد الفتوحات الإسلامية على مدى التاريخ أمثال : خالد بن الوليد وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن القاسم وطارق بن زياد وصلاح الدين وغيرهم وغيرهم .

٦ - **وحدة اللغة** : فقد حث الإسلام أتباعه على أن يتعلموا اللغة العربية باعتبارها الوسيلة الوحيدة لفهم القرآن الكريم ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وعن طريق اللغة الواحدة يترابط الأفراد فكريًّا وعاطفيًّا .

٧ - **الوحدة الجغرافية** : فالبلدان الإسلامية متلاصقة من المحيط الأطلنطي في الغرب إلى جزر أندونسيا في الشرق ، ومن جبال الآرال شمالاً إلى موزمبيق جنوبًا (راجع كتاب الإسلام - سعيد حوى - ص ٣٣٨ - ص ٣٤٣) طبعة ثانية سنة ١٩٧٩ م - دار الكتب العلمية بيروت .

وقد نجحت هذه الأسباب خلال القرون الماضية - وحتى بداية هذا القرن - في أن تجعل الأمة الإسلامية ذات شأوٍ بعيد ، مرهوبة الجانب ، عزيزة الكلمة ، حتى وهت قوة المسلمين ، وانفرط عقدهم ، فذلوا بعد عز ، وتشتتوا بعد تمكين ، ولكن هذه الأسباب ذاتها لا تزال موجودة =

نؤخرها إلى محالها من هذا البحث بإذن اللّه تبارك وتعالى .

= باقية حتى الآن ، وأعداء الإسلام يتخوفون من أن تعود للمسلمين يقظتهم ، ويعودوا إلى التمسك بهذه الأسباب فيتبوأوا مكانتهم مرة أخرى ، ولذلك يتواصون فيما بينهم على عدم إتاحة هذه الفرصة للمسلمين مرة أخرى . وسنرى في ثنايا البحث الكثير من أقوالهم وأعمالهم الهادفة إلى تحقيق هذا الغرض .

الفَصْلُ الثَّانِيْ

أسباب وقوع الفرقة

بين المسلمين

تمهيدٌ

لقد أراد اللّه لأمة الإسلام أن تكون واحدة ، لا تتنازعها الأهواء ، ولا تتشعب بها الآراء ، لا سيما وأن شريعة الإسلام جاءت لكل البشر ، وإلى قيام الساعة ، لا فرق بين عربي وأعجمي ، ولا فرق بين من عاصروا نزول القرآن أو بلغهم بواسطة الدعاة إلى اللّه .

وانطلاقًا من هذه الإرداة الإلهية دعت تعاليم الإسلام إلى القضاء على فوراق الجنس واللغة واللون والعادت والتقاليد ، وقررت التآخي بين المؤمنين على أساس الإيمان باللّه .

لكن هذا الأمر - على أهميته - لم يلق عناية كافية من المسلمين ، فصاروا أشتاتًا

متناكرين ، يحمل الواحد منهم في قلبه نحو أخيه العداوة والبغضاء ، بدلاً من المحبة والإخاء وصدق الشاعر الذي يقول :

تجولت في طول البلاد وعرضها
وطفت بلاد اللّه غربًا وشرقا
فلم أر كالإسلام أدعى لوحدة
ولا مثل أهليه أشد تفرقا

وقد تعاونت أسباب عدة جعلت المسلمين يصلون إلى هذا الدرك ، بعضها يأتي من خارج المسلمين ، والبعض الآخر يأتي من داخلهم .

ويحسن بنا أن نتعرف على هذه الأسباب - لأن معرفة أصل الداء أول أسباب العلاج - وبإمكاننا على ضوء هذه المعرفة - بإذن

اللّه - أن نتحرك وفق تخطيط مدروس ، وانطلاقًا من رؤية واضحة .

ونبدأ أولاً بالتعرف على الأسباب الخارجية لوقع الفرقة .

أولاً : الأسباب المؤدية إلى الفرقة من خارج المسلمين :

١ – الشيطان :

من منا يجهل الشيطان ، ذلك العدو اللدود لأهل الإيمان بغية إضلالهم وصدهم عن صراط اللّه المستقيم ؟

يقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (١) .

ويعترف الشيطان نفسه – والاعتراف سيد الأدلة – أنه لن يدع أحدًا يسلك طريق الرحمن إلا وقعد له فيه ، محاولاً أن يصده

(١) سورة فاطر : (٦) .

ويصرفه عنه ، وفي الدلالة على هذا جاء قوله تعالى حكاية عما قاله الشيطان : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (١) .

هذا ؛ وتتنوع الأسباب التي يسلكها الشيطان لتحقيق هذا الغرض الخبيث ، وتأتي في مقدمتها وسيلة إيقاع الفرقة والعداء بين صفوف المؤمنين ، وهذه هي الأدلة :

١ – قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ

(١) سورة الأعراف : (١٦ ، ١٧) .
(٢) سورة المائدة : (٩١) .

أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (١) .

وجاءت السنة مؤكدة على هذه الحقيقة أيضًا ففي الحديث عن جابر بن عبد اللّه ﷺ قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش** (٢) **بينهم** » (٣) .

ولسائل أن يسأل : ولماذا يئس الشيطان من عبادة المصلين له ، وطمع في التحريش بينهم ؟

ويجاب عن هذا بأن زوال العقيدة من

(١) سورة الإسراء : (٥٣) .
(٢) جاء في النهاية (جـ ٢ ص ٣٦٨) مادة حرش : ولكن في التحريش بينهم ، أي في حملهم على الفتن والحروب .
(٣) أخرجه مسلم (جـ ٤ – ص ٢١٦٦) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتن الناس .

نفوس المؤمنين بها ليست بالأمر الهين ، فمن الملاحظ أن محاولة اختراق هذه العقيدة بالدعوة إلى الردة عن الدين تُوَاجَه بالفشل من عامة الناس ، فضلاً عن المتدينين منهم ، ومن ثم قطع الشيطان طمعه في هذا الجانب ، وقنع بإثارة العداوة بين صفوف المؤمنين ، وهو يرى إمكانية تحقيق النجاح فيها ، مع ما يترتب على وجودها من آثار سيئة تحيل الإيمان في حياة أصحابه إلى شكل لا مضمون له .

وقد حدث ، فلم يخل عصر من الخلاف والنزاع بين المسلمين ، والذي وصل – في بعض الأحيان – إلى درجة حمل المسلم السلاح ضد إخوانه في العقيدة ، وسقوط القتلى والجرحى من المسلمين بيد إخوانهم .

وهكذا يتضح لنا أن أول من يدعو إلى إثارة الفرقة بين المسلمين إنما هو الشيطان .

٢ - أعوان الشيطان من الآدميين :

تدلنا آيات القرآن الكريم على أن للشيطان أعوانًا من الإنس ، يتعاونون معه في تحقيق الضلال لعباد اللّه .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

ولأن فيما بين هؤلاء وبين الشياطين وجه شبه في كون كل منهما يصد الناس عن سبيل اللّه نجد أن اللّه تعالى أطلق عليهم لفظ

(١) سورة الأنعام : (١٢١) .

الشياطين ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١) .

غاية ما هنالك أن هؤلاء الشياطين ليسوا من جنس الشياطين المختفية ، بل هم بارزون يعلنون الحرب ، ويبرزون العداء دون خوف أو استحياء .

ويشترك أعداء الإسلام - على اختلاف مذاهبهم ونحلهم - في القيام بمعاونة الشيطان في مهمته تلك خير قيام ، ويستهدفون بعدائهم وحربهم المسلمين خاصة ، بحيث يمكن القول بأنه لا توجد قضية أجمعت عليها أمم الكفر مثل إعلان الحرب على المسلمين ، والعمل على إذلالهم والقضاء عليهم .

(١) سورة الأنعام : (١١٢) .

ولا يتسع المجال للحديث عن كل نحلة من هذه النحل ، والوقوف على دورهم في هذا المجال ، لكنني - حرصًا على الفائدة من جهة ، وعدم الخروج عن الموضوع من جهة أخرى - أذكر ما يتعلق بفئة واحدة منهم ، وهم النصارى ، وذلك لما يكتنف علاقتهم بالمسلمين من غموض في عقول بعض السذج (١) من المسلمين .

(١) منشأ هذا الغموض لدى هؤلاء المسلمين السذج ما يقرأونه في القرآن الكريم من أن اللّه تعالى ذكر اليهود والنصارى في آية من كتابه ، فوصف اليهود بأنهم أشد عداوة للمؤمنين ، وذكر النصارى فوصفهم بأنهم أقرب مودة للمسلمين ، وذلك في قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ... ﴾ الآية .
ويجاب على هذا بأن حديث القرآن هنا ليس عن عامة =

ويقتضينا الأمر أن نتعرف - بصورة

= النصارى ، وإنما هو عن فئة معينة منهم ، سمعوا القرآن وآمنوا به ، وقد ذكرهم اللّه بعد الآية السابقة بقوله عنهم : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ . أما عدا هؤلاء ممن أصروا على كفرهم وعنادهم رغم وضوح الآيات فقد قال اللّه تعالى عنهم عقيب الآيات السابقة مباشرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ . ومن ثم لا تفرق آيات أخرى بين اليهود والنصارى في عدائهم للإسلام ، وحرمة اتخاذ أحد منهم أولياء . ففي الدلالة على العنصر الأول قال تعالى في سورة البقرة (١٢٠) : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ وفي الدلالة على العنصر الثاني قال تعالى في سورة المائدة (٥١) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

عامة - على موقف نصارى العصر الحديث من الإسلام والمسلمين ، ثم نتبع ذلك ببيان دورهم في إشاعة الفرقة بين صفوف المسلمين ، ووسائلهم في ذلك .

وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة - كما هو معروف - فإن من المستحسن أن نحتكم إلى أقوالهم ، ونؤيدها ببعض مواقفهم .

يقول المستشرق الفرنسي « كيمون » في كتابه « باثولوجيا الإسلام » :

إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا ، بل هو مرض مريع ، وشلل عام ، وجنون ذهولي ، يبعث على الخمول والكسل ، ولا يوقظه من الخمول

والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء ، والإدمان على معاقرة الخمور ، وارتكاب جميع الفواحش ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي ، إلى ما لا نهاية ، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ، ككراهة لحم الخنزير والخمر والموسيقى .

ويقول : « إن الإسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات » .

ويوضح ما يجب فعله مع المسلمين فيقول : « أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع قبر

محمد وجثته في متحف اللوفر » [١] .

ويقول المنصر الأمريكي روبرت ماكس : « لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين ، حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ، ويقام قدس الأحد في المدينة » [٢] .

ولم يكن هذا الحقد الأعمى طبيعة فئة معينة منهم - كالمستشرقين والمبشرين مثلاً - وإنما سرى هذا الداء في نفوسهم جميعًا نحو الإسلام والمسلمين .

ويدل على ذلك ما تنقله لنا الأخبار

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله (ص ٤٢) جلال العالم - طبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ .
(٢) الزحف على مكة (ص ١٣) الدكتور عبد الودود شلبي .

ووكالات الأنباء من أقوال وأفعال عما يقترفه هؤلاء الصليبيون ضد المسلمين .

وأكتفي هنا بذكر مثلين :

١ - ذكر أن الجندي الصليبي عندما كان يتهيأ لاستعمار بلاد المسلمين يتغنى بهذه الكلمات :

يـــــا أمـــــاه ...
أنـي صـلاتك ... لا تـبـكـي
بـل اضـحـكـي وتـأمـلـي
أنا ذاهب إلى طرابلس [١] فرحًا مسرورًا
سأبذل دمي في سحق الأمة الملعونة
سـأحـارب الـديـانـة الإسـلامـيـة

(١) طرابلس : إحدى مدن ليبيا .

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن [١]

ويستمر التعصب الأعمى ، والكراهية البغيضة في قلوب الصليبيين نحو الإسلام والمسلمين بعد انتهاء فترة الاستعمار الاستيطاني لبلاد المسلمين ، ورغم القفزات الهائلة في العلم والتكنولوجيا إلا أن الحقد الأسود في قلوب هؤلاء ظل على ما هو عليه إن لم يكن زاد .

وأضرب هنا مثلاً بما حدث لمسلمي البوسنة والهرسك الذين رغبوا في الاستقلال إثر تفكك الاتحاد اليوغسلافي ، فإذا بالقوات الصربية الصليبية تشن حربًا شعواء على المسلمين في هذه البلاد مستغلة

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله (ص ٩) جلال العالم .

تفوقها العسكري بإزاء ضعف المسلمين وقلة عتادهم :

ويا لهول ما حدث لأولئك المسلمين على أيدي الطغمة الصليبية الصربية ، فلقد استباحوا لأنفسهم هتك أعراض المسلمين ، وإطلاق الرصاص علي الأسرى بعد امتصاص دمهم والانتقام منهم وتدمير كافة منشآتهم وأغراضهم ، وطمس جميع معالم الحضارة الإسلامية من مساجد وآثار [١] .

(١) ربما كان من المناسب أن أكتب هنا بعضًا من الصور التي أوردها شهود عيان قاموا بزيارة المسلمين في البوسنة والهرسك ، ووضعونا في الأجواء التي يعيشها المسلمون هناك . جاء في جريدة الأهرام بتاريخ ٧ / ٧ / ١٩٩٢م بقلم الشاعرة المصرية (علية الجعار) تحت عنوان (**بعض ما شاهدت**) ما نصه : « أكتب لكم هذه الرسالة بعد عودتي من رحلة التقيت خلالها بالآلاف من أهل البوسنة المسلمين . . وقد كانت رحلة انفطر فيها قلبي حزنًا وجفت دموعي فلم أعد أجد دموعًا في عيوني لكثرة ما انهمرت تشارك دموع الثكالى والأرامل والأيتام الذين نكل بهم عدوهم الصربي عدو الإنسانية من خلال عصابات [الشتنيك] التي داست على كل قيم العالم المتحضر وغير المتحضر .

بل وإليكم ما شاهدت وما سمعت من قصص من أفواه المسلمين . . وإليك بعض ما يحدث للمسلمين هناك حيث لم أقابل خلال جولتي من أحد يدين بغير الإسلام ووقع عليه ما وقع عليهم لعل في ذلك أبلغ الرد على من يتفلسفون ويتعالمون علينا ويحاولون إقناعنا بأنها صراعات عرقية فقط ولا دخل للدين فيها . دبر الأمر للمسلمين فانطلقت عصابات الشتنيك الصربية تهاجمهم وتطردهم من قراهم وتقتلهم وتعتقلهم . . في الوقت الذي أسرعت فيه الدول المجاورة بالاستيلاء على الأطفال اليتامى . . . ليس لرعايتهم كما يتوهم البعض وإنما لتنشئتهم على غير دينهم ، وهذا ما يستفاد من رفض المسئولين في ألمانيا وإيطاليا وبعض البلاد المجاورة الأخرى زيارة أعضاء المراكز الإسلامية لهؤلاء الأطفال ورفض تمكينهم من رعايتهم رعاية إسلامية . . في الوقت الذي يسمحون فيه لرجال الدين الآخرين بزيارة هؤلاء الأطفال ورعايتهم . . ولقد تنبهت الحكومة البوسنية إلى ذلك وتجري إعادة هؤلاء الأطفال ، وقد عاد بالفعل من المجر مائة وعشرون طفلاً يعيشون الآن في المناطق المحررة داخل البوسنة نفسها .

أول ما يدمره الصرب عند مهاجمتهم لقرية هو مسجدها . . ثم يعتقلون شيخ الجامع ويحضرون زوجته وبناته ويقومون باغتصابهن علنًا إمعانًا في تلطيخ هذا الرمز الإسلامي بالعار ثم يقومون بقتل الشيخ بطريقة وحشية ويقتادون الزوجة والبنات إلى معسكرات الاعتقال وتستمر عملية الاغتصاب إلى ما شاء العدو الفاجر . . .

في مؤتمر الإنقاذ الذي انعقد في زغرب الشهر الماضي كانت قمة المأساة حين طلبت النساء المغتصبات المسلمات معرفة الحكم الشرعي في إجهاض أنفسهن والتخلص من هذا العار الذي يحملنه في أحشائهن . . فانهمرت الدموع من عيون الرجال . . وفي نفس اليوم رأيت صبية لم تكمل عامها العاشر بعد . . تهتك جدار بطنها وأجريت

وقد صرح قائد القوات الصربية فوشتيك

في حديث أجرته مجلة (ديرشبيجل) الألمانية

عبر فيه عن الهدف من الحرب في البوسنة ،

= لها عدة جراحات لتبقي على حياتها . . فقد تناوب أفراد جيش الصرب اغتصابها غير مبالين بدموعها البريئة .
أطفال في عمر الزهور فقدوا الأب والأم يعيشون مع جيرانهم في معسكرات اللاجئين . .
رأيت شابًّا يجلس بجوار أمه وأخواته ولما سألته عن سبب تخلفه عن القتال . بكى وأراني يده اليمنى فقد قطعوا له إصبعيه الخنصر والبنصر . . ليظل في كفه ثلاثة أصابع !
أما صور البطولة فعديدة ومجيدة . . أبطال مسلمون من كل أنحاء الدنيا . . إنجليز . . ألمان . . هولانديون . . عرب . . يجاهدون ويستشهدون . . وكل جندي في البوسنة يضع على كتفه عبارة [اللّه أكبر] وحتى النساء من كل أنحاء الدنيا تجاهدن ، فالإسلام عزيز وكلنا له فداء . .
في جزيرة نائية تبعد ساعتين عن الشاطئ الكرواتي في بحر الأدرياتيك عشت ساعات مع بضع مئات من النساء والأطفال . . الجزيرة لا تصلح للحياة . . . والكروات أبعدوا هؤلاء اللاجئين إليها في خيام تتهاوى أمام المطر المتساقط . . وهناك رأيت الأطفال المسلمين يموتون أمام أعين أمهاتهم المسلمات . =

وهذا بعض ما ورد فيه : **شبيجل** : ما هو الهدف من هذه الحرب ؟

فوشتيك : القضاء على المسلمين ، فالمسلمون في أوربا يجب أن يختفوا كأمة . إن على المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام وأن يصبحوا صربيين أو كروات ، أما الخيار الثالث فهو الموت .

ويضيف قائلاً : أنا أؤيد النازيين الجدد في ألمانيا الذين يقومون بقتل المسلمين الأتراك وغيرهم في المدن الألمانية [١] .

= وتضيف قائلة : إن ما رأيت وسمعت أفظع من أن تنقله كلماتي عبر هذه السطور ولكني أقول . . كل منا محاسب أمام اللّه يوم القيامة . . فماذا نقول للّه سبحانه وتعالى حين يسألنا عما فعلنا لأهل البوسنة المسلمين . ا هـ .
(١) جريدة الجمهورية القاهرية (١٦ أكتوبر سنة ١٩٩٢ م) .

ويطفح المقال بكثير من مظاهر الحقد الأعمى لدى هؤلاء ، فليرجع إليه من أراد المزيد .

ولأن الكفر ملة واحدة رأينا الكروات من سكان البوسنة – وقد أبدوا في البداية تعاطفًا مع المسلمين بحكم الوطن الواحد – رأيناهم يتراجعون عن موقف التأييد للمسلمين ، ويفصحون عن وجههم الصليبي القبيح ، فتحالفوا مع الصربيين ، وقاموا بفتح نيران مدافعهم على المسلمين دون رعاية لأي اعتبار ، واضطر المسلمون البوسنيون أمام خيانات الكروات المتكررة أن يعتبروهم أعداء كالصرب ، ويعلموا الأمم المتحدة بذلك .

وبما أن الأمم المتحدة يشرف عليها أمين

عام صليبي ، وأعضاءها الدائمون كذلك ، وتحركها أمريكا حسبما ترى فإن قضية هؤلاء المسلمين الضعفاء لم تجد من يناصرها ، بل الأدهى من ذلك أن يعتذر المجتمع الدولي عن مناصرتهم لأنهم – فقط – مسلمون .

نشرت جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر ٢٥ / ٨ / ١٩٩٢ م أنه لما عرضت فكرة إرسال قوات تمنع من وقوع القتال بين الفئات المتحاربة في يوغسلافيا قال آلان كلارك وزير سابق للحربية البريطانية : « من يجرؤ أن يقول لعائلات العسكر التي تريدون بعثها : إن ابنكم لم يمت من أجل الملكة أو الوطن ، وإنما مات ليمنع الصرب من قتل المسلمين ؟ .

وهكذا ماتت الفكرة ، وقال بقية المسئولين ما قاله الوزير البريطاني السابق ، وهكذا خف دم المسلمين ، وهان في ميزان القوى الكبرى .

ومما يدل على تواطؤ هذه الدول بكاملها على سحق المسلمين وإبادتهم ما صرح به الصربيون أنفسهم من أنهم يقومون بإبادة المسلمين نيابة عن أوربا .

ولئن كانت قضية المسلمين البوسنيين [١] قد كشفت العالم الصليبي بأسره ، وأوضحت أنهم يكرهون الإسلام من كل قلوبهم ، إلا أن الملاحظ هو محاولتهم تفريغ قضية المسلمين في البوسنة والهرسك من طابعها

(١) تكررت مأساة المسلمين البوسنيين بعد ذلك مع مسلمي كوسوفا ومسلمي مقدونيا في نفس المنطقة .

الديني بادعائهم أن حرب الصربيين ضدهم سببها النزاعات العرقية ونحو ذلك .

لكننا - وبقليل من التأمل - فيما أوردته من مواقف وتصريحات اتضح لنا كذب هؤلاء ، وأن ما يدعونه لا أساس ولا أصل له من الصحة ، وأن الحقيقة تكمن في كراهيتهم للإسلام ومحاولتهم القضاء عليه .

وهكذا يتضح لنا أن عداء النصارى للمسلمين قديم جديد ، لم تتغير سوى الوسائل فقط ، وليس نصارى اليوم من نوع خاص . .

وتمضي السياسة العالمية التي يمتلك الصليبيون أزِمَّتَها في العصر الحديث في نفس المسار من محاربة المسلمين ، والإعلان

الدائم عن ضرورة التصدي والوقوف ضدهم ، لا سيما بعد انتهاء الحرب الباردة بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي ، وظهور الصحوة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، وهذه بعض تصريحات ساستهم ورجال الفكر منهم :

أ - حين تفكك الاتحاد السوفيتي قامت رئيسة وزراء بريطانية آنذاك « مسز تاتشر » في مجلس العموم البريطاني تنعى على الأوربيين والأمريكيين من أتباع المسيحية على مختلف مذاهبهم فرحهم بسقوط الشيوعية ، ونهاية عدوهم التقليدي ، وأفهمتهم أن العدو الحقيقي للحضارة الغربية هو الإسلام ، وقالت لهم آنذاك :

« لقد تخلصنا من العدو الأصغر وبقي العدو الأكبر ، الإسلام » [١] .

ب - وكتب محرر الشئون الدولية في صحيفة التورنتو ستار الكندية « جون دامر » بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٩٢ م تحت عنوان (العدو العربي محل العدو الشيوعي) ما نصه : « إن هذا العدو هو الإنسان العربي المسلم ، ولا فرق أن ينتمي لأي جنسية من الجنسيات ، المهم أنه عربي مسلم ، وحتى لو كان تركيًّا أو باكستانيًّا أو إيرانيًّا ، فلا فرق أيضًا ، المطلوب أن يكون هناك هدف نصب أعين الناخبين الغربيين تشخذ ضده

(١) جريدة الشعب المصرية - العدد الصادر بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٩٢ م .

كل العواطف ، وتخصص من أجل رده ميزانية دفاع كبيرة » [١] اهـ .

جـ - وسئل وزير خارجية إيطاليا عندما كان رئيسًا للمجموعة الأوربية : ألم يقم بينكم وفاق ، فما لزوم الحلف الأمني ؟ فأجاب قائلاً : هناك أعداء ، هناك الإسلام [٢] .

وانطلاقًا من هذا كله يقوم الصليبيون بقيادة أمريكا بمساندة كافة القوى المعادية للإسلام ، وعلى رأسهم اليهود ، ولا تجد أمريكا وحلفاؤها من تستذلهم وتستضعفهم إلا المسلمين بإلزامهم - ولو بالقوة - بتنفيذ

(١) مجلة « قضايا دولية » عدد ١٢٢ - السنة الثانية - ١٠ مايو ١٩٩٢ م .
(٢) جريدة الشعب المصرية .

قرارات الأمم المتحدة .

وما عجز أمريكا وصمتها عما يحدث للمسلمين في البوسنة ، وعما فعلته إسرائيل ولا تزال من الطرد الجماعي لمئات الفلسطينيين ، في الوقت الذي تجيش الجيوش لضرب العراق وتدمير منشآته الحيوية لمخالفته - في نظرهم - قرارات الأمم المتحدة . ما هذا إلا دليل عملي وواقعي على عمق الكراهية في قلوب هؤلاء نحو الإسلام والمسلمين .

ولا أريد الاسترسال في هذا الجانب أكثر من هذا حتى لا أخرج عن موضوع البحث ، ولكن أردت - فقط - أن ألفت النظر إلى السبب الرئيسي في تحالف هؤلاء مع الشيطان ضد

الإسلام والمسلمين ، وقد اتضح لنا أن السبب عقدي ، وأن هؤلاء الصليبيين لا يرجون الخير للمسلمين أبدًا ، بل يتمنون أن يغمضوا أعينهم ثم يفتحوها وقد انشقت الأرض وابتلعت المسلمين . قال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [١] .

هذا ؛ وقد درس أعداء الإسلام تعاليم هذا الدين ، وعرفوا مواطن القوة فيه ، وأيقنوا أن سعادة المسلمين في التمسك بدينهم وإحياء تعاليمه في نفوسهم ، ومن ثم حرصوا على أن لا تقوم للمسلمين قائمة . ووسائلهم في الوصول إلى هذا الهدف كثيرة ولكن ما

(١) سورة البقرة : (١٠٥) .

يعنينا منها هو ما يتعلق بإشاعة الفرقة بين صفوف المسلمين ، عندما أدركوا ما لوحدة المسلمين من أثر في نهضتهم وتفوقهم .

ونبدأ أولاً بعرض بعض أقوالهم بشأن إشاعة الفرقة بين صفوف المسلمين ، ثم نتبعها ببيان مخططاتهم العملية للوصول إلى هذه الغاية .

١ - **يقول القس سيمون** : « إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة . . من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية » [١] .

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله (ص ٥١) جلال العالم .

٢ - **ويقول المنصر لورانس براون** : « إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا ، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون - حينئذ - بلا وزن ولا تأثير .

ويضيف قائلاً : « يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا وزن ولا تأثير » [١] .

٣ - وصرح لورانس براون أيضًا في مناسبة أخرى قائلاً : « إن أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها » [٢] .

(١) نفس المرجع والصفحة .
(٢) حاضر العالم الإسلامي (هامش ص ٧٢) - د . على جريشه - طبعة رابعة ١٩٨٩ م - دار المجتمع ، جدة .

٤ - **ويقول مورو بيرجر في كتابه** « العالم العربي المعاصر » : « إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الإسلام . . يجب محاربة الإسلام والحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب ، لأن قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره » [١] .

٥ - **ويقول لويس التاسع ملك فرنسا** - الذي سبق وأن أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة بمصر - في وثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية في باريس ما نصه : « إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال

(١) جلال العالم - المرجع السابق .

حرب ، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي :

أ - إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن ، حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في إضعاف المسلمين .

ب - عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح .

جـ - إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء ، حتى تنفصل القاعدة عن القمة .

د - العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد حتى تصل إلى الغرب [١] .

(١) مؤامرات سفهاء صهيون (المقدمة) أبو إبراهيم أحمد ابن نصر الله المصري - بدون تاريخ أو اسم مطبعة .

٦ - وفي المركز العام للوثائق التاريخية بمدينة لندن توجد وثيقة تحمل رقم ٣٧١ / ٥٥٩٥ كتبها وزير للمستعمرات سابق اسمه (**أرمسبي جو**) تقول الوثيقة : « إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك ، بل فرنسا أيضًا . ومن دواعي فرحتنا أن الخلافة الإسلامية زالت . لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة . . **إن سياستنا تهدف دائمًا وأبدًا إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك** . . إننا في نيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا -

وكنا على صواب - نمو قوميات محلية ، فهي أقل خطرًا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي » [١] .

٧ - **يقول توينبي في محاضرة له عن الإسلام والغرب والمستقبل** : « إن الكلمة المؤثرة « **الوحدة الإسلامية** » **والتي كانت دائمًا بعبع المستعمرين الغربيين** منذ استعمالها في اللغة السياسية للسلطان عبد الحميد ، بدأت مؤخرًا تفقد سيطرتها التي كانت لها على عقول المسلمين » .

. . . إن الوحدة الإسلامية نائمة ، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ [٢] .

(١) الزحف إلى مكة ص ١٥٧ - ١٥٨ د . عبد الودود شلبي .
(٢) جند اللّه ثقافة وأخلاقًا (ص ١٨) - سعيد حوى - طبعة ثانية - دار السلام للنشر والتوزيع .

وجدير بالذكر أن محاولة إيقاع الفرقة من قبل هؤلاء الأعداء بين صفوف المسلمين قد استهدفت - أيضًا - العاملين للإسلام والداعين إليه ، باعتبار أن نشوب الخلاف بينهم يشغل عن التفرغ للعمل الجاد المثمر .

وأذكر بهذه المناسبة وثيقة نشرتها جريدة المدينة التي تصدر في السعودية ، وذلك في عددها الصادر في ٣ صفر ١٣٩٩ هـ ، الموافق أول يناير ١٩٧٩ م ، وهي تتضمن سبل القضاء على العمل الإسلامي داخل الدولة الإسلامية ومن بين ما جاء فيها :

١ - بث بذور الشك والشقاق بين قيادات العمل الإسلامي لينشغلوا عن النشاط المثمر .

٢ - تعميق الخلافات المذهبية والفرعية ، وتضخيمها في أذهان الشباب .

٣ - تفتيت الجماعات الإسلامية والجمعيات المختلفة ، وبث التنازع داخلها وفيما بينها . اهـ .

ولعلنا نذكر بهذه المناسبة ما حدث بواسطة هؤلاء الأفاعي منذ عهد قريب حين حاولوا ضرب المجاهدين في أفغانستان بعضهم ببعض ، وذلك حين ألقوا في قلوب الأفغان - عن طريق إذاعاتهم المتعددة - أن العرب الذين يشاركونهم في الجهاد ليسوا إلا مستعمرين جدد ، جاءوا إلى الساحة لنشر الفكر الوهابي بين صفوف الأفغان الأحناف ، مما أثار حفيظة الضعاف منهم ،

وحدثت فتنة ، تم القضاء عليها بفضل اللّه تعالى ثم بجهود العلماء المخلصين .

ثم تجددت المحاولة مرة ثانية - ومع الأفغان أيضًا - وذلك عندما فتح المجاهدين كابل ، فكانت الإذاعات الأجنبية تحاول استثمار الخلاف بين قادة المجاهدين ، وتنفخ لتأجيج الفتن العرقية بينهم ، فتقول : حكمت يار البشتوتي ، وأحمد شاه مسعود الطاجيكي ، إلى غير ذلك .

ولا ننكر أنهم نجحوا إلى حد كبير في هذه الثانية ، ولا تزال المعارك الطاحنة بين المجاهدين الأفغان مستمرة حتى كتابة هذه السطور .

إضافة إلى ما سبق نذكر أن محاولات هؤلاء الأعداء لإيقاع الفرقة بين المسلمين لم تكن

مقصورة على مجرد إشاعة الفرقة بالكلام ، بل اتخذ صورًا عملية ، وصاحبه تخطيط مدروس حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن .

ويمكن أن نجمل خططهم العملية لزرع الفرقة بين المسلمين في النقاط التالية :

١ - السعي لإلغاء الخلافة الإسلامية .

٢ - إعادة تقسيم العالم الإسلامي بصورة جديدة ، تحول دون وحدة أقطاره .

٣ - تصعيد الغزو الفكري بين أبناء العالم الإسلامي .

٤ - قطع الطريق أمام المسلمين في مجال التقدم الفني والصناعي .

ونعود بعد هذا الإجمال إلى التفصيل ،

فنقول وباللّه التوفيق .

(١) كانت الخلافة الإسلامية على مدى القرون الماضية ، وحتى سقوطها في أوائل هذا القرن ؛ كانت بمثابة الخيط الذي يربط حبات العقد ، ويحول دون انفراطه ، وذلك بما تمثله من رابطة بين أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وقومياتهم ، وكانت السبيل الوحيد لاستنفار المسلمين في كل مكان ضد المعتدين والطامعين .

ولسمو مكانة الخلافة وأهميتها في الدين اصطلح الفقهاء على تسميتها بالإمامة العظمى . وأدرك أعداء الإسلام هذه المنزلة للخلافة الإسلامية فسعوا إلى إلغائها

والقضاء عليها ، ليتسنى لهم ضرب الوحدة الإسلامية ، وتمزيق شمل المسلمين .

يقول لورنس براون : « علينا أن ندفع بالغرب لانتزاع حقوقه من تركيا بالعنف ، لأننا بهذا نقضي على خطر الإسلام ، وندفع به (أي الإسلام) لإعلان الحرب على نفسه ، وبذلك نمزقه من القلب ، إذ ينهض في مثل هذا الصراع خليفة في تركيا ، وخليفة في العالم العربي ، ويخوض الخليفتان حربًا دينية ، وبذلك يقضى على خطر الخلافة الإسلامية بصورة نهائية » [١] .

وقد حدث ما تمناه هذا المستشرق ودعا

(١) حاضر العالم الإسلامي (جـ ١ ص ١١٧) د . جميل عبد اللّه المصري - طبعة ثانية سنة ١٩٨٩ م - دار أم القرى .

إليه ، فألغيت الخلافة ، وكان ذلك بمثابة الضربة التي وجهت إلى الرأس ، ومن يومها والعالم الإسلامي تتشابه حركته مع حركة من ذبحت رأسه فهو يتخبط خبط عشواء [١] .

(١) احتال المستعمرون لضرب الخلافة الإسلامية بحيلة ماكرة انطلت على كثير من المسلمين وقتئذ ثم انكشفت حقائقها بعد ، وخلاصة ذلك أن الحلفاء في الحرب العالمية الأولى اتفقوا على إظهار التقهقر والتراجع أمام القوات التركية بقيادة كمال أتاتورك حتى يبدو في نظر الجميع بطلاً ، فإذا حدث ذلك عمد أتاتورك - صنيعة الاستعمار - إلى إلغاء الخلافة وسائر مظاهر الإسلام في تركيا حتى لا تقوم للإسلام بعد ذلك قائمة ، وقد نفذ أتاتورك ما أملاه عليه أسياده ، ومن يومها وتركيا - التي كانت سيدة العالم - تنتمي إلى دول العالم الثالث .
وقد ذكر - بهذه المناسبة - أن أحد النواب الإنجليز قام في مجلس العموم البريطاني واعترض على اعتراف انجلترا وسائر الدول باستقلال تركيا ، فأجابه كرزون رئيس المجلس قائلاً : القضية أن تركيا قد قضي عليها ، ولن تقوم لها قائمة لأننا =

(٢) وعلى إثر سقوط الخلافة - وفق التدبير المحكم الذي رسمه الأعداء - انقضَّ هؤلاء المتوحشون على العالم الإسلامي كما ينقضُّ الوحش على فريسته ، وعملوا على توزيع تركة العالم الإسلامي فيما بينهم ، وكانوا يطلقون عليها (تركة الرجل المريض) ، فاستأثرت إنجلترا بجانب ، وفرنسا بجانب ، وهولندا بجانب ، وإيطاليا بجانب . . . إلخ .

وحرص المستعمرون على أن يضعوا الخطط اللازمة للحيلولة بين المسلمين وبين

= قضينا على القوة المعنوية فيها ، الخلافة والإسلام ا . هـ . محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والموسم الثقافي للعام الدراسي ١٣٩٥ - ١٣٩٧ هـ (صـ ١٢٩ - صـ ١٢٠) من محاضرات بعنوان (موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي) للدكتور إبراهيم جعفر السقا .

العودة مرة ثانية إلى الوحدة ، فأعادوا تخطيط العالم الإسلامي بما يحقق هذا الهدف .

وتمثل تخطيطهم فيما يلي :

أ - تجزئة العالم الإسلامي إلى أجزاء صغيرة ، تزيد عن الأربعين وبعضها لا يرى على الخريطة - لصغر حجمه - إلا بالميكروسكوب ، وبعض هذه التقسيمات كانت بين أبناء الشعب الواحد ، مثل اليمن الشمالي ، واليمن الجنوبي .

ب - روعي في هذه الأقطار المتعددة التباين الشديد بين أنظمة الحكم فيها ، فهذا نظام ملكي ، وهذا نظام جمهوري ، وهذا يولي وجهه قبل الغرب الرأسمالي ، والآخر يتبنى النظام الاشتراكي ، وهذا يحكمه حزب ، وآخر تحكمه

أسرة ، وثالث يحكمه فرد . . . إلخ .

وشأن هذا الاختلاف أن يجعل الوحدة بين هذه الأنظمة المختلفة صعبًا إن لم يكن مستحيلاً .

جـ - عمل أعداء الإسلام - حين وضعوا الخريطة السياسية للعالم الإسلامي - على إيجاد مشاكل حول الحدود بين الأقطار الإسلامية تعد بمثابة قنابل زمنية تنفجر في حينها الموقوت ، فتثير الصراعات بين الجيران ، وتستنفذ طاقاتهم ، وتحول دون اتحادهم .

وقد انفجر العديد من هذه القنابل في الآونة الأخيرة ، فاشتعلت الحروب التي أكلت الأخضر واليابس ، ونزلت باقتصاد الدول الإسلامية إلى ما تحت الصفر ، وما حرب العراق

مع إيران ، ثم حربها من الكويت عنا ببعيدة .

د - عمل أعداء الإسلام على زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي ، ليتم الفصل - بهذا الجسم الغريب - بين المسلمين في أفريقيا ، والمسلمين في آسيا ، ولتكون إسرائيل - في هذا الموقع - بمثابة الشرطي الذي يمكنه القضاء على أي توجه نحو الوحدة في الأقطار الإسلامية .

ومما يدل على أن إيجاد إسرائيل في هذا الموقع كان بهدف ضرب الوحدة الإسلامية ما نُقِل من أنه سنة ١٩٠٧ م عقد مؤتمر أوربي كبير ، ضم أضخم نخبة من المفكرين

والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا ، الذي قال في خطاب الافتتاح :

« إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا » .

واستمر المؤتمر شهرًا في النقاش والدراسة ، واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة ؛ فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربا .

وحينئذ قرر المؤتمر وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو

اتفاق بين دول الشرق الأوسط ؛ لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا . وتمخض هذا الفكر عن ضرورة إنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس **ليبقى العرب متفرقين** .

وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين [١] .

وقد تلاقت أفكار المشاركين في هذا المؤتمر مع ما سبق وأن أشرنا إليه منذ صفحات قلائل من أن لويس التاسع عشر

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله (ص ٥٢ - ص ٥٣) بتصرف يسير - جلال العالم .

قد وضع بنودًا تمكن الغرب من إحكام السيطرة على المسلمين ، وكان من بين مقترحاته : إنشاء دولة غربية في المنطقة العربية تمتد حتى تصل إلى الغرب ، فكانت إسرائيل بوجودها الحالي نقطة الاتفاق بين لويس التاسع عشر وهؤلاء المؤتمرين . وحتى تظل الأقطار الإسلامية في حالة من الغليان الدائم وعدم الاستقرار حرص هؤلاء الأعداء على تأجيج الصراع بين المسلمين وبين الأقليات التي تدين بغير الإسلام ، وذلك بمناصرة هذه الأقليات ، وتدعيم انفصالها عن الوطن الأم ، وذلك مثلما يحدث في جنوب السودان .

هذا في الوقت الذي لا تجد فيه الأقليات

المسلمة من يستجيب لندائها إذا طالبت بحقوقها ، وذلك مثلما يحدث في كشمير وأرتيريا وفطاني وغيرهم وغيرهم .

(٣) إلى جانب هذا التخطيط المدروس من قبل أعداء الإسلام في الجانب السياسي كان لهم تخطيط متوازي معه في الجانب الفكري بهدف مسخ الشخصية الإسلامية ، فإن بقي لها ارتباط بالإسلام كان ارتباطًا شكليًا .

وقد شمل الغزو الفكري قطاعات عريضة من حياة المسلمين ، ومما يتعلق منه بإشاعة الفرقة بين صفوف المسلمين ما يلي :

أ - إحياء الروابط التاريخية بين الشعوب

الإسلامية وماضيها السحيق للقضاء من خلال ذلك على الهوية الإسلامية ، وبذا تضعف رابطة الأخوة بين تلك الشعوب .

يقول أحد المستشرقين في بيان هذا المخطط : « إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ماقبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات » [١] .

وعلى هذا الأساس أثيرت الفرعونية في مصر ، والطورانية في تركيا ، والفينيقية في لبنان ، والآشورية والسامرية والبابلية في

(١) حاضر العالم الإسلامي (جـ ١ - ص ١٨٢) د . جميل عبد الله محمد المصري .

العراق ، والكنعانية في فلسطين ، والبربرية في المغرب . . إلخ .

ب - مطاردة الشريعة الإسلامية ومظاهرها ، واستبدال الأحكام الشرعية بالقوانين الوضعية ، وذلك حين وجدوا أن وحدة التشريع ينتج عنها وحدة المشاعر ووحدة السلوك بين أفراد الأمة ، وأن هذه الوحدة في التشريع كانت سببًا في تماسك المسلمين وترابطهم خلال العصور التي تفشى فيها الفساد السياسي في الأمة الإسلامية .

ولعل في الأحداث المأساوية التي تعيشها جمهورية الجزائر عقب فوز التيار الإسلامي في الانتخابات ، ووقوف الغرب كله في مواجهة هذا

التيار ، لعل في هذا ما يؤكد على تلك الحقيقة .

وأيضًا حدث في فرنسا ذات الديمقراطية المزعومة أن ثلاث فتيات مسلمات فرنسيات من أصل مغربي رغبن في ارتداء الحجاب الإسلامي ، فمنعن من دخول المدرسة رغم أن زيهن يتشابه مع ما يلبسه غيرهن وفق معتقدات أخرى غير إسلامية ، لكن ضيق الأفق لدى الفرنسيين والكفار عامة بخصوص الإسلام جعلهم يصرون على منع هؤلاء الفتيات المسلمات من دخول المدرسة باللباس الإسلامي ، وتطور الأمر إلى تدخل القضاء لحسم الموقف .

جـ - ولم تكن الأخلاق الإسلامية أقل حظًّا من الشريعة الإسلامية في تصويب

السهام نحوها ، فكرسوا جهودهم لمحاربتها ، والقضاء عليها .

يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد سنة ١٩٣٥م : « إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا . إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية [١] » .

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله (ص ٤٨) جلال العالم .

وقد أثمرت هذه الدعوة ثمرتها ، فشاعت الأخلاق المنحلة وسط المسلمين ، وسادت أعراف وتقاليد لا تمت للإسلام بصلة ، مما أفقد المجتمعات المسلمة عنصرًا مهمًّا من عناصر الوحدة والأخوة .

د - كذلك عمد أعداء الإسلام إلى محاربة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، تلك اللغة التي أسهمت في نشر الأفكار الإسلامية في العالم الإسلامي كله ، إذ لا يخلو بلد مسلم من ناطقين بها ، وعارفين بقواعدها . . فينتج عن ذلك لون من الوحدة والترابط بين شعوب العالم الإسلامي .

وحتى تنجح خطتهم في القضاء على

اللغة العربية عملوا على عدة محاور مختلفة ، كالتشجيع على نمو اللغات المحلية لتصبح لغات قومية ، ونقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية بدل العربية ، وتشجيع الحديث باللغة العامية بين العرب .

وبذا تنحل الروابط بين المسلمين من كافة الجهات ، وتنقطع آمالهم في تحقيق الوحدة .

(٤) أدرك المستعمرون ما للجانب الاقتصادي من أهمية في إنعاش الأمة ، والعمل على تحقيق التكامل والوحدة بين أقطارها ، فعملوا على حرمان الشعوب الإسلامية من أسباب التقدم الفني والصناعي - ولو أدى الأمر بهم إلى قتل العلماء والمبتكرين من

المسلمين - لتظل السيادة والسيطرة لهم ، وتبقى الشعوب الإسلامية في قبضة التبعية .

وقد نتج عن هذا أن صارت الشعوب الإسلامية - رغم وفرة الثروات في أراضيها - دولاً تنتمي كلها إلى ما يسمى بالعالم الثالث ، وأصبحت الشعوب الإسلامية تعتمد في غذائها ودوائها وسائر شئونها على أعدائها ، مما مكن هؤلاء الأعداء من رقاب المسلمين ، وجعل لهم الهيمنة والسيطرة على الشعوب الإسلامية المغلوبة على أمرها .

في بيان هذا المخطط يقول مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية في تصريح له سنة ١٩٥٢م : « ليست الشيوعية خطرًا على أوربا فيما يبدو

لي ، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي ، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي ، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم ، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، فهم جديرون بأن يقيموا قواعد عالم جديد ، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية ، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين ، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية ، ويقذفون برسالتها إلى متاحف التاريخ » .

ويضيف قائلاً : « إن العالم الإسلامي

عملاق مقيد ، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافًا تامًّا ، فهو حائر ، وهو قلق ، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه ، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن ، وحرية أوفر » .

ثم ينصح بني ملته بقطع الطريق على المسلمين في مجال التقدم الصناعي والفني فيقول : « فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء ، ولنقو في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي والفني حتى لا ينهض ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف بإبقاء المسلم متخلفًا ، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه ، فقد بؤنا بإخفاق خطير ، وأصبح خطر العالم العربي ، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة

خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب ، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم » [١] .

والجدير بالذكر أن هؤلاء الأعداء ، الذين مارسوا كافة الوسائل لقطع الطريق أمام وحدة المسلمين أيقنوا أنه لا وزن لهم ولا قيمة من غير أن يوحدوا صفوفهم ، ويجمعوا كلمتهم ، ومن ثم رأينا في عصرنا الحاضر تقاربًا بين المتباعدين ، وتحالفًا بين المتحاربين .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) [٢] : - « إن العالم يتقارب بعضه من بعض على كل صعيد ، رغم

(١) المرجع السابق (ص ٣٧ - ص ٣٨) .
(٢) المرجع المذكور (ص ١٣٩) .

الاختلاف الديني ، والاختلاف الأيديولوجي ، والاختلاف القومي واللغوي ، والوطني والسياسي .

لقد رأينا المذاهب المسيحية - وهي أشبه بأديان متباينة - يقترب بعضها من بعض ، ويتعاون بعضها مع بعض .

بل رأينا اليهودية والنصرانية - على ما كان بينهما من عداء تاريخي - يتقاربان ويتعاونان في مجالات شتى ، حتى أصدر الفاتيكان منذ سنوات وثيقته الشهيرة بتبرئة اليهود من دم المسيح .

ورأينا على المستوى الأيديولوجي تقارب العملاقين (أمريكا والاتحاد السوفيتي) [١]

(١) بعد سقوط الاتحاد السوفيتي حرصت أمريكا على توطيد علاقاتها مع روسيا الاتحادية أكبر وأقوى الولايات السوفيتية المستقلة .

فيما سمي أول الأمر (التعايش السلمي) ثم تطور إلى أن أصبح سياسة الوفاق . وكذلك تتقارب أمريكا مع الصين .

أما أوربا التي مزقتها الحروب والصراعات والنزاعات القومية والإقليمية والسياسية والأيديولوجية ، فهي اليوم تتقارب حتى يوشك أن تكون دولة واحدة تذوب بين أقطارها الفواصل .

وأعجب ما في الأمر هو ما يحدث في أوربا الشرقية ذاتها ، تلك التي كان يفصلها الستار الحديدي الرهيب عن أوربا الغربية ، واليوم يكاد هذا الستار يرق ويرق حتى يتمزق في النهاية [١] . . . » .

(١) حدث بالفعل ما أشار إليه الشيخ القرضاوي ، وتمزق الستار الحديدي بزوال الشيوعية ، وكان من نتائجه الأولى توحيد شطري ألمانيا الشرقية والغربية ، والبقية تأتي .

ومما يؤسي ويؤسف أن هذه التحالفات التي قامت بين أعداء الإسلام - رغم ما بينهم من خلاف - كان مبعثها مواجهة العدو المشترك ، الذي يُجْمِعُون جميعًا على كراهيته ، وهو الإسلام .

وهذا بعض ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .

ولعل المسلمين يدركون هذه الحقائق ، ويعيدون تنظيم صفوفهم ، وتوحيد كلمتهم ، أمام عدوهم اللدود ، الذي يهدف إلى القضاء على الإسلام والعاملين له ، دون تفرقة بين فئة وأخرى ، وإلا

(١) سورة الأنفال : (٧٣) .

استحق المسلمون - بسبب تفرقهم واتحاد أعدائهم - الوعيد الذي ذكره اللّه في نهاية الآية ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ أي تحدث الفتنة والفساد ، ويعم البلاء على الجميع دون تفرقة بين صالح وطالح ، كما قال ربنا : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) .

ثانيًا : الأسباب المؤدية إلى وقوع الفرقة من داخل المسلمين :

اتضح لنا من خلال البحث السابق ضخامة الكيد والتدبير الذي يمارسه أعداء الإسلام لإيقاع الفرقة والشقاق بين صفوف المسلمين ،

(١) سورة الأنفال : (٢٥) .

وهذا أمر طبيعي لا يستغرب من أعداء اللّه وأعداء المسلمين ، وذلك بحكم التدافع بين الحق والباطل ، والصراع بين الإيمان والكفر .

لكن هذا العداء وما صاحبه من تخطيط لم يكن ليؤتي ثمرته ويحقق أهدافه إذا كان المسلمون أقوياء في دينهم ، موصولين بربهم ، فمن المعروف أن الميكروب لا يصيب إلا الجسم الضعيف ، لا سيما إذا أعمل صاحب الجسم الضعيف التدمير والتخريب في جسده بيده ، فاجتمعت الميكروبات من خارجه ، وتدميره لجسده بيده ، فزاده ذلك ضعفًا على ضعف .

وصدق اللّه إذ يقول : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ

وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ ﴾ (١) ومن ثم فإن الأسباب الداخلية هي الأقوى تأثيرًا في إيقاع الفرقة بين صفوف المسلمين ، وهي التي تساعد على تهيئة البيئة الصالحة لعمل التآمر الخارجي بما تعين عليه من تآكل الصف المسلم من داخله .

ويدل على ذلك أن أحد المستشرقين قيل له : « إن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ، فقال : أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافاتهم إلينا » .

وهكذا لاحظ الأعداء أن ثمت فرقة وخلافًا بين المسلمين ، ويغتنمون هذا الموقف الداخلي بصب الزيت على النار حتى تزداد اشتعالاً .

(١) سورة آل عمران : (١٢٠) .

وتتعدد الأسباب المؤدية إلى وقوع الفرقة من داخل المسلمين ، ولكنها جميعًا تعود إلى سبب واحد ، وخلاصته : « الإعراض عن التمسك الحقيقي بكتاب اللّه تعالى ، وسنة رسول اللّه ﷺ » .

وفي القرآن الكريم كثير من الإشارات إلى هذا المعنى نذكر منها ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴾ الآية [١] .

والشاهد في الآية أن اللّه تبارك وتعالى نهى عن التنازع ، وسبق هذا النهي بالأمر بالطاعة

(١) سورة الأنفال : (٤٥ - ٤٦) .

الكاملة للّه ورسوله ؛ إذ هي الضمانة الكاملة لعدم وقوع التنازع ، واللّه أعلم .

٢ - قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [١] .

والشاهد في الآية أن الإيمان بمنهج اللّه الواحد يجعل صورة الأمة متحدة متماسكة ، فإذا سيطرت الأهواء وقع التمزق والشقاق ، لأن الحق واحد والأهواء بعدد رؤوس الناس .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ

(١) سورة البقرة : (١٣٧) .

ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [١] .

والشاهد في الآية أن النصارى لما نسوا جزءًا من الوحي المنزل عليهم من اللّه وقعت العداوة والبغضاء بين صفوفهم ، وما ذلك إلا جرس إنذار للمسلمين حتى لا يقعوا في مثل ما وقع فيه هؤلاء فيصيبهم مثل ما أصابهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إذا ترك الناس بعض ما أنزل اللّه - جهلاً أو هوى - وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، إذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه ، بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرًا ، كل حزب بما لديهم فرحون » [٢] .

(١) سورة المائدة : (١٤) .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (جـ ٣ - ص ٤١٩ ؛ ص ٤٢١) .

وعند التأمل في هذا النص المنقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية نراه يُرْجِعُ ترك الناس العمل بما أنزل اللّه إلى واحد من سببين :

١ - **الجهل** .

٢ - **اتباع الهوى** .

وهذا صحيح ؛ فإن الإنسان إذا حصَّل من العلم الكثير تجمل بسعة الأفق ، وتميز سلوكه بليونة في التعامل ، والرفق بالمخالف ، في حين أن الجهل يصيب صاحبه بعكس ذلك ، فيبدو ضيق الأفق محدود النظرة ، ومن هنا تتسع شقة الخلاف بينه وبين الآخرين .

نقل عن أبي حامد الغزالي قوله : « العلم ثلاثة أشبار : من تعلم الشبر الأول تكبر ،

ومن تعلم الشبر الثاني تواضع ، ومن تعلم الشبر الثالث علم أنه لا يعلم شيئًا » .

وفي التأكيد على عمق الصلة بين الجهل والفرقة أورد الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) قصة مفادها أن أمير المؤمنين عمر ﷺ خلا بنفسه ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟

فأرسل إلى ابن عباس ﷺ فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمناه ، وعلمنا فيما أنزل ، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما

أنزل ، فيكون لكل قوم فيه رأى ، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا . . .

يقول الإمام الشاطبي تعليقًا على هذا الخبر : « وما قاله ابن عباس ﷺ هو الحق ، فإنه إذا عرف الرجل فيم نزلت الآية أو السورة ؛ عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها ، فلم يتعد ذلك فيها ، وإذا جهل فيما أنزلت ؛ احتمل النظر فيها أوجهًا ، فذهب كل إنسان مذهبًا لا يذهب إليه الآخر وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات ، فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي ، أو التأويل بالتخرص الذي لا يغني عن الحق شيئًا إذ لا دليل عليه من

الشريعة ، فضلوا وأضلوا » [١] .

وإذا كانت النتيجة - كما قال الإمام الشاطبي - ذهاب كل إنسان مذهبًا لا يذهب إليه الآخر ، مع قلة البضاعة لدى كل واحد منهم من العلم ، فإن النتيجة تفرقة الأمة ، وتفتت وحدتها ، كما هو حاصل الآن .

وهذا الكلام ألصق ما يكون بأبناء الحركة الإسلامية الذين لم يتزودوا بزاد من العلم يعصمهم من الزلل فنراهم يتنازعون ويتقاتلون لأتفه الأسباب ولا تتسع صدورهم لقبول مخالفيهم ، فتحدث الفرقة ، ويكون الشقاق .

وأما العامة فإن جهلهم بتعاليم الإسلام

(١) الاعتصام - الإمام الشاطبي (جـ ٢ ص ١٨٣) بتصرف يسير - دار المعرفة - بيروت - لبنان - طبعة سنة ١٩٨٢ م .

يفقدهم معاني الإيثار والرحمة والتعاون التي دعا إليها الإسلام ، وتستولي عليهم الأثرة والأنانية ، فينشأ التحاسد والتنافس على متاع الدنيا فلا يكون ثمت لقاء بينهم وبين الآخرين ، فتقع الفرقة ، وينشأ التنازع .

وأما اتباع الهوى فيكون من أشخاص تمكنت من قلوبهم بدعة من البدع ، يدافعون عنها ، ولا يقبلون سواها ، فإذا حاول الغير أن يقنعهم بضررها ، وساق لهم الأدلة المتواترة على فسادها أعرضوا عنه ، ومالوا إلى المراوغة والتأويل [١] .

(١) قد تختلط المسائل على بعض المسلمين في التفرقة بين اتباع الهوى والخطأ في الاجتهاد فلزم التنبيه على الفرق بينهما حتى لا تخلط المسائل ، ويمكن إيجاز الفرق بينهما في النقاط التالية : =

ومن ثم جاء في القرآن الكريم النهي عن

= ١ - الهوى ينشأ أصلاً من دافع خفي باطني يستحوذ على قلب صاحبه ، ومن ثم يعمد إلى اتخاذ خط معين في الاحتجاج بالأدلة موجهًا إياها لتوافق ما استقر في قلبه سلفًا ، أما المجتهد فهو يمشي وراء الأدلة دون أن يتبنى لنفسه رأيًا مسبقًا .

٢ - متبع الهوى يتمسك برأيه وإن بان له خطؤه ، أما المجتهد فهو يبغي الوصول إلى الحق ، سواء ظهر على لسانه أو لسان غيره ، فإذا تبين خطؤه في مسألة ما تراجع عنها ، ولسان حاله يقول : لأن أكون ذنبًا في الحق خير لي من أن أكون رأسًا في الباطل .

٣ - أن اختلاف المجتهدين لا يورث عداوة ولا بغضاء بينهم ؛ لأن كلاًّ منهم يرى رأيه صوابًا يحتمل الخطأ ، ورأي غيره خطأ يحتمل الصواب ، أما اختلاف أهل الأهواء فإنه يورث الاختلاف والشقاق لاعتقاد كل منهم أن رأيه صواب لا يحتمل الخطأ ، فمن خالفه أو حاد عنه لزم اتخاذ موقف منه ، ومن ثم ينشأ التنازع والشقاق .

٤ - المجتهد يسترشد بآراء من سبقه ، ويسمع النصح ممن عاصره ، وأهل الأهواء لا يرون قيمة إلا لآرائهم ، =

اتباع الهوى موسومًا بأنه ضد الحق ، وبأنه - لأجل ذلك - يضل صاحبه عن سبيل اللّه ، والنتيجة لضلال العبد عن سبيل اللّه استحقاقه للعذاب الشديد بين يدي اللّه .

قال تعالى : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (١) .

= ويصمون آذانهم عن سماع النصح من غيرهم .
راجع (مقدمة أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٥١ - ٦١) محمد العبدة ، وطارق عبد الحليم - طبعة ثانية سنة ١٩٨٦ - دار الأرقم - الكويت .

(١) سورة ص : (٢٦) .

وإنما يدفع اتباع الهوى إلى الفرقة باعتبار أن الأهواء تختلف ، وبإصرار أصحابها على التمسك بها تحدث الفرقة ويقع التنازع .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : إن الإخلاص للّه يجمع ويوحد ، أما اتباع الهوى فهو يفرق ويمزق ، لأن الحق واحد ، والأهواء بعدد رؤوس الناس . وإن أكثر ما فرق الأمة الإسلامية إلى فرق وطوائف في القديم والحديث هو اتباع هوى النفس أو أهواء الغير ، ولهذا أطلق أهل السنة على الفرق التي حادت عن الصراط المستقيم هذا العنوان المعبر (أهل الأهواء) ، فكثيرًا ما كان الخلاف غير جذري ، أو غير حقيقي ، ولكن الذي ضخمه وخلده هو

الهوى » (١) .

وفي واقعنا المعاصر أمثلة كثيرة جرى فيها أصحابها مجرى اتباع الأهواء ، مما أوقع الناس في حيرة ، وأصاب صفوفهم بالتمزق والشتات ، ومن هذه الأمثلة :

١ - تقديس البعض للعقل ، والادعاء بأنه - أي العقل - الحاكم في حياة الإنسان ، وأن من الواجب خضوع الأدلة القرآنية والنبوية لهذا العقل ، لأن السلطان له ، وليس للشرع .

٢ - لجوء البعض إلى تحريف النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بحرمة الربا

(١) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم (صـ ٢٨٨) .

والخمر ، والمتعلقة بوجوب الحجاب ، وتلك التي تحكم على اليهود والنصارى بالكفر ، ومحاولة الخروج بهذه النصوص عما تفيده صراحة ، وتأويلها بما يتفق وأهواء هؤلاء .

ومعظم الذين يتبعون هذه الآراء - إن لم يكن كلهم - مغموص عليهم في دينهم ، ومتهمون بالولاء للسلطة ، أو التبعية لأعداء الإسلام .

ولا يعني ذلك أن العاملين في مجال الدعوة إلى الإسلام قد سلموا من هذا الداء - أعني اتباع الهوى - بل أصابهم كما أصاب غيرهم .

فالذين يطلقون الأحكام بتكفير عامة المسلمين - على غرار ما كان يفعله الخوارج قديمًا - ويعتزلون كافة أشكال التعامل مع من ليس على نهجهم ، ويرفضون الانصياع لأي نصح يأتي من خارجهم ، لا يسلم سلوكهم هذا من اتباع الهوى .

والذين يتعصبون لآراء أئمتهم ومشايخهم ، ويقيمون الولاء والبراء على أساس الاتباع لهؤلاء الأئمة والمشايخ دون مراعاة لأخوة الدين العامة التي يجب أن يلتقي حولها المسلمون جميعًا لا يسلم موقفهم هذا أيضًا من اتباع للهوى .

يقول الإمام الشاطبي ﷺ : « كل مسألة

حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام ، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنابز والتنافر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء . . . فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهوى ، فالإسلام يدعو إلى الألفة والتحابِّ والتراحم والتعاطف ، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين » [1] .

وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النقطة الأخيرة في الفصل التالي بإذن اللّه .

(١) الاعتصام (ص ٤٢٩) .

وأكتفي بذكر هذه الأمثلة - حتى لا أخرج عن موضوع البحث - وبنهاية الكلام عنها ينتهي الكلام عن أسباب الفرقة ، مع اليقين بأن هذين السببين (الجهل ، اتباع الهوى) يندرج تحتهما أسباب أخرى من غير شك ، ولكنني أكتفي بالإجمال ، واللّه أعلم .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

مظاهر الفرقة
في حياة المسلمين

تمهيدٌ

إذا كان لكل داء أسباب أدت إليه ، فإن له - كذلك - مظاهر تعبر عنه وتدل عليه . وقد تمكن داء الفرقة من المسلمين بصورة واضحة - لا سيما بعد سقوط الخلافة الإسلامية - وغدت مظاهر الفرقة واضحة لكل ذي عينين ، سواء على مستوى العامة ، أو على مستوى العاملين للإسلام والداعين إليه ، وكأن هذا الدين يدعو إلى الفرقة لا إلى الوحدة ، وينادي بالعداوة دون المحبة ، وإشارة إلى هذه الحقيقة المرة يقول أحد الشعراء :

تجولت في طول البلاد وعرضها
وطفت ديار اللّه غربًا ومشرقًا

فلم أر كالإسلام أدعى لوحدة
ولا مثل أهليه أشد تفرقًا

ففي الوقت الذي تدعو فيه مبادئ الإسلام إلى التآخي بين جميع المؤمنين دون اعتبار لثروة أو جنس أو لغة أو قومية نجد أن المسلمين في العصر الحاضر أضاعوا هذه الرابطة القائمة على أساس العقيدة ، واستبدلوها بالدعوات القومية ، والنزعات الإقليمية ، مما فرق شملهم ، ومزق صفوفهم .

ولئن كان الحرص على روح التآخي تلك مطلبًا عامًّا من كل مسلم ، فإنه يكون أكثر مطلبًا من دعاة الإسلام ، الذين يُفْتَرَض فيهم القدوة ، ويُتَوَقَّع في سلوكهم أدب

الإسلام وأخلاقه ، ومع هذا يقع التنازع والشقاق بين هؤلاء الدعاة بدلاً من التعاون الذي تفرضه تعاليم الإسلام ، وفشلت كثير من المحاولات التي استهدفت التقارب بين العاملين للإسلام والداعين إليه .

وفي محاولة لتشخيص الداء ، والسعي في إزالة أسبابه نتعرف فيما يلي على الظاهرتين اللتين أشرت إليهما (أعني ظاهرة القوميات التي حلت بين الشعوب بدلاً من أخوة الإسلام ، وغياب روح التآخي بين المتدينين) مبينًا موقف الإسلام من كل منهما ، والسبيل الأقوم الذي يجب سلوكه .

سائلاً اللّه تعالى أن يؤلف بين قلوب

المسلمين ، ويصلح ذات بينهم .

أولاً : ضياع الرابطة الإسلامية ، وشيوع القوميات المحلية :

تقوم تعاليم الإسلام على اعتبار أن المسلمين أمة واحدة ، العربي والأعجمي ، والأبيض والأسود والأحمر فيها سواء ، ولا فضل لأحد منهم على أخيه إلا بالتقوى .

وفي الإشارة إلى هذا المعنى يقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١] .

وفي تصوير مادي لمدى التلاحم بين المؤمنين جاء في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **مثل**

(١) سورة الحجرات : (١٠) .

المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [٢] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** » **ثم شبك بين أصابعه** [٣] .

(١) تداعى له : جاء في النهاية (جـ ٢ - ص ، ١٢١) مادة دعا : « تداعى سائره بالسهر والحمى ، كأن بعضه دعا بعضًا ، ومنه قولهم : (تداعت الحيطان) أي تساقطت أو كادت .
(٢) أخرجه مسلم ، واللفظ له (جـ ٤ - ص ١٩٩٩) كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم وأخرجه البخاري بنحوه جـ 5 ص ٢٢٣٨) كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم .
(٣) أخرجه البخاري (جـ ٥ - ص ٢٢٤٢) كتاب الأدب - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا ومسلم (جـ ٤ - ص ١٩٩٩) كتاب الأدب - باب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

وفي بيان أن الألوان والأجناس لا شأن لها بتفضيل أحد على آخر ، وأن مناط التفضيل - ومن ثم التآخي - إنما هو تقوى اللّه دون غيره ، جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي نضرة قال : حدثني من سمع خطبة رسول اللّه ﷺ في وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى . . . » الحديث [١] .

وبالتأمل في هذه النصوص - وأشباهها - ندرك لأول وهلة أن المعيار

(١) مسند الإمام أحمد (جـ ٥ - ص ٤١١) .

الذي يقيمه الإسلام أساسًا للتآخي إنما هو الإيمان باللّه ، بغض النظر عن فوارق الجنس والثروة واللغة واللون وغير ذلك .

هذا الأساس هو الذي طبع اللّه به عباده المؤمنين فقال : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [١] ، وطلب اللّه إليهم ألا يموتوا إلا عليه ، فقال : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٢] ، وأعلمهم أن الإخاء مع الكفار مرهون بالتزامهم بهذا الأساس ، بأن يتوبوا عن الكفر ، ويلتزموا بتعاليم الإسلام ، فقال : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [٣] .

(١) سورة الحج : (٧٨) .
(٢) سورة آل عمران : (١٠٢) .
(٣) سورة التوبة : (١١) .

وأعلمهم كذلك بأن آصرة الأخوة تنقطع بين الأقارب إذا حاربوا اللّه ورسوله ، وأصروا على كفرهم ، فقال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [١] .

ومع امتناع التواد بين المسلم والمحاربين للّه ورسوله من أقاربه يمتنع التوارث بينهما أيضًا ، فلا يرث المسلم الكافر أو العكس ، وذلك تأكيدًا على قطع الصلة بينهما في الحياة وبعد الممات .

ويصل الإسلام في تقديره لهذا الأساس

(١) سورة المجادلة : (٢٢) .

المكين (**الإيمان باللّه**) ، وإقامة العلاقات على أساسه إلى أبعد مدى ، فيبين أنه يربط بين السابقين واللاحقين ، الأحياء والأموات ، عبر السنين والقرون والأجيال ، فيقول رب العزة بعد حديثه عن السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [١] .

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي مشيرًا إلى المعاني السابق ذكرها : -

« إن الدائرة التي رسمها الإسلام لقوميته ما هي بدائرة حسية أو مادية ، بل دائرة

(١) سورة الحشر : (١٠) .

عقلية وفكرية ، فعسى أن تقطع هذه الدائرة بين رجلين من أسرة واحدة ، وتوصل بين رجلين أحدهما من الشرق ، والآخر من الغرب . . . ومحيط هذه الدائرة هي كلمة (**لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه**) ولا صداقة ولا عداوة فيها إلا على أساس هذه الكلمة ، فالإقرار بها الجامع بين رجلين ، وإنكارها هو الفارق بينهما ، وكل اثنين إذا فرق بينهما إنكارها ؛ لا قبل لعلاقة الدم أو اللون أو الخبز أو نظام الحكومة بأن تجمع بينهما ، وكل اثنين إذا جمع بينهما الإقرار بها ؛ لا يقدر أن يفرق بينهما شيء ، وليس من حق جبل أو بحر أو نهر أو لغة أو سلالة أو لون أو نزاع في المال والأرض أن يرسم بينهما خط الامتياز .

ثم يضيف قائلاً : « إن اختلاف الإسلام والكفر يقطع أقرب ما يكون للمرء المسلم من علاقات الرحم والدم ، فهو يقطعه عن أبيه أو أمه أو إخوته إن كانوا مناوئين للإسلام ، ويطالبه بترك قومه المشتركين معه في الجنس والنسل إن كانوا يعادون اللّه ، وبالهجرة عن وطنه إن كانت فيه العداوة بين الإسلام والكفر ، كأن الإسلام فوق كل شيء للمسلم ، وعليه أن يضحي في سبيله بكل شيء ، ولا يجوز له أن يضحي به في سبيل شيء » [١] أ هـ .

(١) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر - ترجمة خليل أحمد الحامدي (ص ٣٠ ص ٣٤) المكتبة العلمية - لاهور بدون تاريخ .

ويقول الشاعر معبرًا عن هذه المعاني أيضًا :

بربكم وطني الإسلام أفديه
بالنفس والمال ، والرحمن يعليه
والمسلمون همو نفسي وحبهمو
فرض علي بصدق القول أرويه
وكل من ناوأ الإسلام غطرسةً
هم العدو بعون اللّه أرميه

وكتطبيق عملي على إعلان رابطة الإيمان ، وإسقاط ما عداها من الروابط نقرأ في القرآن الكريم أمثلة كثيرة ، نذكر منها :

١ - قصة نوح عليه السلام يحكي القرآن قوله : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾

فكان الجواب : ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [١] . فأسقط بذلك رابطة الأبوة .

٢ - في قصة إبراهيم عليه السلام يذكر القرآن ما كان من براءته من أبيه حين بان له أنه عدو للّه ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ ﴾ [٢] . فأسقط بذلك رابطة البنوة .

٣ - وفي قصتي نوح ولوط عليهما السلام مع قصة أمرأة فرعون ، يذكر القرآن أن كفر امرأة نوح وامرأة لوط لم يمنعهما من

(١) سورة هود : (٤٥ - ٤٦) .
(٢) سورة التوبة : (١١٤) .

دخول النار رغم نبوة نوح ولوط عليهما السلام ، كما أن كفر فرعون لم يحل بينه وبين امرأته المؤمنة من دخول الجنة .

وهكذا يسقط القرآن رابطة الزوجية حين لم تقم على أساس من الإيمان باللّه .

وفي حياة النبي ﷺ وصحابته - أيضًا - أمثلة كريمة على الاعتداد بهذه الرابطة دون سواها ، ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - قيام النبي ﷺ وأصحابه بمحاربة مكة وأهلها ؛ لأنها كانت دار حرب إلى أن تم فتحها فصارت دارًا من دور الإسلام .

٢ - أسقط النبي ﷺ رابطة القرابة التي كانت بينه وبين عمه أبي لهب ، وابن عمه

عمرو بن هشام (أبو جهل) فجعلهم أعداءه ، وعقد أقوى الروابط مع مسلمين غرباء عن بلاد العرب ، كبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

٣ - تواجه المسلمون مع الكفار في كثير من المعارك ، فكانوا لا يقيمون وزنًا لقرابة بينهم وبين هؤلاء الكفار ، حتى إن صحابيًّا هو أبو عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم بدر تغليبًا للدين على النسب ، وإيثارًا لطاعة اللّه على طاعة الأب ، وهناك أمثلة أخرى غير ما حدث من أبي عبيدة ﷺ ، وكلها تشهد بأن رابطة الإيمان هي الشيء الوحيد الذي أقام النبي وصحابته له وزنًا دون سائر الروابط .

وإذا كانت الحكمة قرينة أي تشريع إلهي ، فإن في إقامة علاقات الناس ببعضهم على أساس من الدين جملة من الحكم نلخصها فيما يلي :

١ - أن الإسلام دعوة عالمية ، لا يحدها زمان ، ولا يحصرها مكان . وقد كلف اللّه المسلمين عامة بالدعوة إلى دينه قائلاً : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ .

وفي قيام العلاقات بين المسلمين على أساس من الإيمان باللّه ينفسح الطريق أمام المسلمين لنشر رسالة الإسلام في شتى أرجاء المعمورة ، العربي والعجمي ، والأبيض والأسود ، جنبًا إلى جنب ، ويدًا بيد .

والتاريخ خير شاهد على ذلك .

يقول الأستاذ عبد اللّه ناصح علوان رحمه اللّه : بالأخوة المؤمنة حرر المسلمون بلاد العرب التي تشمل : مصر والعراق والشام .

وبالأخوة المؤمنة دك المسلمون عرش كسرى ، وزلزلوا ملك قيصر ، وأحرزوا في الأرض نصرًا كبيرًا ، وحققوا في العالم فتحًا مبينًا .

وبالأخوة المؤمنة الطموحة وصلت فتوحات المسلمين إلى آخر الغرب ، ووقف « **عقبة بن نافع** » على شاطئ المحيط الأطلسي ، وقال قولته الخالدة - بعد أن خاض جواده في الماء « **اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك ، اللهم فاشهد** » .

وبالأخوة المؤمنة المتوثبة وصلت فتوحات المسلمين إلى آخر الشرق ، وأبى **قتيبة الباهلي** إلا أن يدخل بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذرًا مشفقًا : لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة والحوادث بين أجنحة الدهر تقتل وتدمر » .

فأجابه **قتيبة** - والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : - « **بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة** » .

فقال له ذلك المشفق المحذر : « اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة ، فهذا عزم لا يفله إلا اللّه » .

وكيف لا ، وقد أصبحوا في ظل العقيدة الإسلامية إخوانًا ؟

وكيف لا ، وقد اعتصموا بحبل اللّه جميعًا ؟

وكيف لا ، وقد أضحوا جميعًا كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ؟

وكيف لا ، وقد تكافأت تحت ظل الإسلام دماؤهم ، وسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ؟

وكيف لا ، وحينما يقاتلون في سبيل اللّه يقاتلون صفًّا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص ؟ .

إنها الأخوة الإسلامية التي تجمع الناس بعد شتات ، وتوحدهم بعد فرقة ، وتؤلفهم بعد عداوة ، وتشركهم جميعًا في الآلام

والآمال » [1] ا هـ .

٢ - إن العمل على رفع راية الإسلام ، وبناء حضارته ، مسئولية كل مسلم . وفي شيوع مبدأ الإخاء بين المؤمنين دون نظر إلى فوارق الجنس والأرض واللغة وغير ذلك ، إتاحة للفرصة كي تسهم كافة الشعوب الإسلامية في هذا الأمر ، الذي يعم خيره على جميع المسلمين .

وعلى هذه الإيجابية يحمل ما تتوارثه الأجيال من علوم ومعارف في اللغة والحديث والفقه والفلسفة والطب والفلك وسائر العلوم ، والتي أسهم فيها غير العرب بنصيب موفور ، مما يؤكد على أن بناء

(١) الأخوة الإسلامية (ص ٧٣ - ٧٥) الطبعة السادسة (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

الحضارة الإسلامية إنما يكون بتعاون كافة المسلمين من جميع الشعوب والأقطار [1] .

٣ - إن الإسلام يفرض على أتباعه أن يتواصوا فيما بينهم بالحق والصبر ، وأن يقيموا جسور العلاقة بينهم وبين بعضهم على أساس المحبة الخالصة للّه ، وأن الإيمان - زيادة ونقصًا - رهن بما يبديه المسلم مع إخوانه من تعاون وحب . .

وفي بناء العلاقة بين المسلمين على أساس الإيمان باللّه تتحقق هذه المعاني ، ويترتب على ذلك تحقيق التكافل بين أبناء المجتمع المسلم ، فيعطف الغني على الفقير ، ويحمي

(١) انظر (المرجع السابق) ص ٧٣ ، ص ٧٥ .

القوي الضعيف ، ويسود الحب بدل البغض ، والإيثار بدل الأثرة ، وتتجاوب مشاعر كل مسلم مع سائر إخوانه في بقاع الأرض ، كما تتجاوب كافة الأعضاء لما يشعر به أحدها [١] .

وقد اعترف أعداء الإسلام أنفسهم بما لهذه المبادئ من أثر ، فقالوا : « إنه ليس من دين أو فكرة أو نظام للتمدن والاجتماع حاز النجاح في القضاء على أسباب التفرق البشري والتمييز العنصري ، وتكوين أسرة عالمية من مختلف الأمم والأجناس إلا الإسلام » [٢] .

(١) انظر المرجع السابق .
(٢) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر (ص ٦٥) الإمام أبو الأعلى المودودي .

وقد مر بنا كلام لمونتجمري بنفس المعنى ذكرناه في المقدمة .

ولقد عاش المسلمون على هذه المبادئ فترة طويلة من الزمن ، يتفيئون ظلالها ، وينعمون بها ، فكانوا رجلاً واحدًا ، وقلبًا واحدًا ، ويدًا واحدة ، ولم يكن يشعر المسلم في أي بقعة من بقاع الأرض بغربة أو وحشة بينه وبين إخوانه في الدين ، مهما اختلفت لغاتهم وأجناسهم وألوانهم ، بل كانوا كما يقول عنهم الحكماء : « لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم كقلب واحد » .

وكان المسلم - تبعًا لهذا الشعور الأخوي - ينتقل بين بلاد العرب والعجم الإسلامية

دون أن يخطر بباله أنه نزح من بلده إلى بلد أجنبي ، ولم يكن يمنعه مانع من المعيشة والتعلم في أي بلد يحب ، والتزوج من أهلها دون أن يسأل عن شيء سوى دينه .

ولقد كانت الأخوة الإسلامية على هذا النحو الفريد حافزًا للشعراء كي ينظموا فيها قصائدهم وينشدوا فيها أشعارها .

يقول الشاعر محمد إقبال :

الصين لنا والعُرْب لنا
والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا
وجميع الكون لنا وطنًا

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي :

يا أخي في الهند أو في المشرق
أنا منك أنت مني أنت بي
لا تسل عن عنصري عن نسبي
إنه الإسلام أمي وأبي
إخوة نحن به مؤتلفون

ويقول شاعر ثالث :

ألا إنما الإخوان في اللّه وحدة
يباركها الإسلام في الشرق والغرب
فإما تجدهم قد تناءت ديارهم
فإنهم كالجسم والدين كالقلب
إذا قيل هذا مسلم قلت يا أخي
مكانك من قلبي مكان أخي الصلب

ويقول شاعر رابع :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنًا
الشام فيه ووادي النيل سيان
وكلما ذكر اسم اللّه في بلد
عددت أرجاءه من لب أوطاني

ولعلنا نذكر بهذه المناسبة أول إخاء عملي عرفه المسلمون ، وهو الإخاء الذي عقده النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في مطلع الهجرة ، وتجلت فيه روح التضحية من جانب المهاجرين ، والإيثار من جانب الأنصار ، وتسابقهم إلى استضافة إخوانهم من المهاجرين دون سابق معرفة ، وتنافسهم في هذا الأمر حتى يصل إلى الاقتراع فيما بينهم .

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه

عن أم العلاء (وهي امرأة من الأنصار) أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة [١] .

ومن ثم استحق الفريقان ثناء اللّه عليهم في كتابه فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) صحيح البخاري (جـ ٦ - ص ٢٥٧٠) كتاب التعبير - باب رؤيا النساء .
(٢) سورة الحشر : (٩) .

وظلت قوة المسلمين باقية ببقاء هذه الوحدة بعيدة عن أن تمسها الأيدي ، أو يتسلل إليها الوهن ، وهذا ما دفع فيلسوف الإسلام محمد إقبال إلى أن يقول :

هذي الوحدة ما لم تفقد
تحفظ المسلم حتى الأبد

لكن الذي حدث بَعْدُ أن هذه الوحدة فقدت ، وحلت محلها روابط أخرى تفصل المسلم عن دينه ، وتربطه بالتراب والطين ، والعنصر ، أو اللغة ، أو نحو ذلك ، وتأثر المسلمون بما بثه أعداء الإسلام من سموم ، جعلته يقدس التراب أو العنصر الذي ينتمي إليه ، ويقطع صلته بإخوانه المسلمين ،

ويعتبرهم في عداد الأجانب .

فعلى مستوى الأفراد وجدنا شعورًا ينتاب بعض الأدباء نحو أوطانهم ، جعلهم يرفعونها إلى درجة الإله المعبود ، ويضحون في سبيل رابطة الوطنية بكل شيء حتى الدين .

يقول أحدهم :

بلادك قدمها على كل ملة
ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم
سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

والشاعر أحمد شوقي يخاطب المصريين بشأن وطنهم مصر ، فيقول :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم

أن تجعلوه كوجهه معبودًا

وعلى مستوى الشعوب الإسلامية فقد المسلمون الرابطة الإيمانية فيما بينهم عندما سقطت الخلافة الإسلامية ، ومزقت أمة الإسلام إلى دويلات ، لا يربط بينها سوى المجاملات والعلاقات الدولية .

وقد ترتب على هذا الوضع المأساوي جملة من السلبيات نذكر منها :

١ - وقوع الظلم على كثير من المسلمين بأيدي أعدائهم من الصليبيين واليهود والهندوس والبوذيين والشيوعيين وغيرهم ، دون أن يختلج لهم عرق ، أو يخف لنجدتهم

أحد (باستثناء مواقف لبعض الأفراد) ، وأصبح المسلمون المضطهدون يصرخون : وا إسلاماه ، فلا يلتفت إليهم أحد ، لأن الكل مشغول بنفسه ، متعلق بأرضه .

٢ - مع تجزئة العالم الإسلامي إلى دويلات ، تتفاوت فيما بينها من حيث الموارد تسربت إلى نفوس المسلمين الامتيازات والفروق القائمة على أساس الأقطار والألوان والأجناس ، فنشأ التحاسد والتباغض بين الشعوب ، وبدأوا يستخدمون قواهم ضد بعضهم بدلاً من أعدائهم .

وفي ظل المشاجرات بين الشعوب الإسلامية لم يتورع بعض حكام المسلمين -

من ذوي النزعة القومية - عن التحالف مع الكفار ضد إخوانه المسلمين .

٣ - صار المسلم غريبًا في بلاد الإسلام ، فهو ينتقل من بلد إلى بلد وهو في عداد الأجانب ، وتحكمه قواعد الإقامة والدخول والتملك والتزوج في كل بلد منها ، غريبة كل الغرابة عن تعاليم الإسلام .

٤ - أصبح المسلم يقدم الكفار من بني جنسه على المسلمين من جنس آخر ، أو من بلد آخر [١] .

(١) حين سقطت الخلافة الإسلامية في أوائل القرن الحالي ، وتوزعت أقطار المسلمين على النحو القائم الآن =

ومن ثم حذر الرسول ﷺ من أن ننساق

= حاول العرب أن يجمعوا شملهم مرة ثانية ، ولكن على أساس غير الإسلام ، فكانت فكرة القومية العربية .
ومع أن وحدة العرب وتمتين أواصر القربى فيما بينهم أمر لابد منه ، حيث كان للعرب فضل على الدنيا كلها حين حملوا إليها رسالة الإسلام ، وهم مهيأون لممارسة هذا الدور مرة ثانية أكثر من غيرهم بحكم لغتهم التي هي لغة القرآن ، وإقرار العالم الإسلامي كله بالفضل لهم ، ورغبتهم في تعلم العربية لأنها لغة القرآن . . . رغم هذا كله لم تفلح القومية العربية في جمع شمل العرب ، وإعادتهم إلى ما كانوا عليه في ظل الإسلام ، وذلك للأسباب التالية :
١ - أن الإسلام منهاج كامل للحياة ، أما العروبة بذاتها فلا تملك عقيدة عن الحياة ولا نظامًا لها ، وكل ما أثر عن العرب ضروب من الشعر والنثر والخطابة في أغراض قليلة محدودة .
ولأن العروبة قد نشأت بمعزل عن الإسلام فإن زعماءها عمدوا إلى استيراد مذاهب من الغرب لملء هذا الفراغ .
٢ - إن الناطقين بالعربية يتبعون ديانات مختلفة ، فمنهم =

- نحن المسلمين - وراء هذه الدعاوى

= المسلم ، ومنهم اليهودي ، ومنهم النصراني ، وولاء كل من هؤلاء لدينه أكبر من ولائه لعروبته قطعًا .
وهذا يفسر السر في الكشف عن محاولات للتجسس لحساب اليهود أو النصارى بواسطة العرب منهم ، وآخرها شبكة التجسس اليهودية التي اكتشفت في مصر ، وكانت تديرها امرأة يهودية عربية تسمى « فائقة مصراتي » .
٣ - أن تاريخ العرب تاريخ مظلم - إن صح أنه كان لهم تاريخ - ولم يكن يحسب لهم في ميزان القوى الكبرى وقتئذ حساب ، فلما جاء الإسلام خلقوا خلقًا جديدًا ، وصاروا - بالإسلام - أمة ذات تاريخ وحضارة .
نستخلص من هذا أن الأمة العربية لم تكن - ولن تكون - إلا بالإسلام ، وأن محاولة تجميع العرب على غير هذا الأساس مزق شملهم ، ولم يفلح في حماية العرب حتى من أنفسهم .
بقي أن نشير إلى أن القوميين العرب لا يجدون غضاضة في التعاون مع الحركات العالمية ، كحركة عدم الانحياز مثلاً ، في حين يقف هؤلاء موقف العداء من كافة أشكال العمل الإسلامي ، وملاحقة رموزه بالنفي =

الغريبة عن ديننا وشريعتنا ، ولا أدل على ذلك من وصف النبي ﷺ العصبية الجاهلية بأقبح وصف داعيًا إلى نبذها ، والتخلي عنها فقال : « **دعوها فإنها منتنة** » [١] .

ولئن كان ترك العصبية هو نداء الدين ، فإنه أيضًا نداء المصلحة في عالم معاصر

= والتعذيب والسجن ونحو ذلك . وهو ما يدل على أن مثل هذه الدعاوى ما نشأت وترعرعت إلا في ظل الاستعمار .
راجع (خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية) عبد الرحمن عبد الخالق - طبعة ثانية سنة ١٩٨٧ م الدار السلفية - الكويت . وراجع (القومية ثورة على الإسلام) د . محمود يحيى - المختار الإسلامي .
(١) أخرجه البخاري (جـ ٤ - ص ١٨٦٢) كتاب تفسير القرآن - باب سورة المنافقون - وأخرجه مسلم (جـ ٤ - ص ١٩٩٨ م) كتاب البر والصلة والآداب - باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا . =

يعيش عصر التكتلات والتحالفات الدولية ، ولا مكان فيه للشراذم والقصاصات .

إن المسلمين لم يجنوا من وراء القوميات سوى التخلف والذل والهوان ، ولا سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بعودة صادقة إلى منهاج الإسلام ، والذي يقيم العلاقات على أساس من الإيمان باللّه لا غير .

يقول الشاعر أحمد التويجري في قصيدة له تحت عنوان (**يا أمة الحق**) :

يا أمة الحق إن الجرح متسع
فهل ترى من نزيف الجرح نعتبر
قومية كم نبحنا في مقاطنها
قد أنتنت فاشتكت من قيحها مضر

شعبية كم نعقنا باسمها زمنًا
بها اقتتلنا فما نبقي وما نذر
غربية كم سقينا من مشاربها
سمًّا زعافًا به الطغيان يختمر
شرقية كم جرعنا من مصائبها
وجه قبيح للاستعمار مستتر
يا أمة الحق ماذا بعد قد نفدت
كل الدعاوى وكلت دونها الفِكَرُ
ماذا سوى عودة للّه صادقة
عسى تبدل هذي الحال والصور
عسى يعود لنا ماض به ازدهرت
كل الدُّنَا واهتدى من نوره البشر

على أساس الهدى كانت مدائننا
وفي سبيل العلا لم يثننا سفر
لم نفتخر أبدًا بالطين أبنية
كلا ولكننا بالعدل نفتخر
إذا تطاول بالأهرام منهزم
فإن أهرامنا سلمان أو عمر
أهرامنا في ذرى الأخلاق شامخة
هي السماحة وهي المجد والظفر
أهرامنا في ربى التوحيد راسخة
غيث النبوة يسقيها فتزدهر
يا أمة الحق إنا رغم محنتنا
إيماننا ثابت باللّه نصطبر

فقد يلين زمان بعد قسوته
وقد تعود إلى أوراقها الشجر [1]

هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن العالم كله يتقارب بعضه من بعض على كافة الأصعدة ، رغم الاختلاف الديني ، والأيديولوجي والقومي ، واللغوي ، وأننا نعيش عصر التكتلات .

وهذا التقارب لا يقف عند حد الشعارات بل تجاوز ذلك إلى تطبيقات عملية ، تمثلت في تحالفات دفاعية أو

(١) نشرت هذه القصيدة في بحث بعنوان (الأقليات المسلمة في العالم ، ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها) وهو أحد أبحاث المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض - يناير سنة ١٩٨٦ م .

اقتصادية ... إلخ مثل : حلف الأطلنطي ، والسوق الأوربية المشتركة .

ولئن ظل المسلمون على حالهم من الفرقة في حين يجتمع أعداؤهم ، فإنهم - بهذا - يستحقون ما أشارت إليه الآية الكريمة من الوعيد : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [1] .

ويبقى السؤال :

١ - لماذا تقيم الدول الأوربية سوقًا مشتركًا لها ، ولا يصنع المسلمون مثلها على أساس إسلامي ؟

(١) سورة الأنفال : (٧٣) .

٢ - لماذا يتم التعاون بين هذه الدول في المجالات العسكرية ، ولا يتعاون المسلمون لتنمية وسائلهم الدفاعية بجهود مشتركة ، وتنمية وتطوير صناعة السلاح داخل الدول الإسلامية ليتم الاستغناء عن الأعداء .

٣ - لماذا تسعى دول أوربا إلى فتح الحدود بينها ، وتوحيد العملة بين دولها ، ولا يبادر المسلمون إلى مثل هذا ، لا سيما والعالم الإسلامي مترابط الأجزاء ؟

٤ - لماذا تعطي بعض الدول لتجمعاتها صفة دينية - كاليهود مثلاً - ولا زلنا نحن المسلمين بعيدين عن هذا الإطار ، رغم إيماننا بأن ديننا هو الحق ؟

إننا نأمل أن تتبنى الدول الإسلامية مثل هذه الأفكار - والتي لم تعد بدعًا في عالم اليوم - لتكون نواة لقيام وحدة كاملة بين كافة الأقطار الإسلامية بإذن اللّه تعالى .

ثانيًا : غياب روح الأخوة بين المتدينين ، وتسلل داء الفرقة إلى صفوفهم :

لا يخفى على أحد منا - نحن المسلمين - ضرورة القيام بواجب الدعوة إلى اللّه تعالى تنفيذًا للكثير من التوجيهات القرآنية والنبوية المتعلقة بهذا الشأن .

وتشير تعاليم الإسلام إلى أن الدعوة لا تؤتي ثمرتها ولا تحقق هدفها ما لم يجمع صاحبها بين القول والعمل ، والتوجيه والسلوك .

قال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (٢) .

وإن كان المفترض في أهل العلم ودعاة الإسلام أنهم أرجى الناس إدراكًا لخطورة التفرق في الدين ، وأنه من أعظم الأسباب المؤدية إلى فساد الأمة وخذلانها ، فإنهم - جميعًا - مدعوون إلى نبذ الخلافات فيما بينهم ، وقطع دابر الفرقة من بين صفوفهم ، لا سيما وأن المتدينين بالنسبة لغيرهم كالملح

(١) سورة الشورى : (١٥) .
(٢) سورة فصلت : (٣٣) .

الذي يصلح الطعام ، فمن يصلح الملح إذا الملح فسد ؟ .

يضاف إلى ذلك أن أعداء الإسلام - في الداخل والخارج على السواء - قد تواطأوا فيما بينهم على محاربة الإسلام ، والوقوف بكل قوة أمام المد الإسلامي المتواصل .

والنتيجة لذلك واضحة لكل ذي عينين ، فقد أصبح الالتزام بالإسلام تهمة توصم صاحبها بالتطرف والتزمت ، ورأينا - في معظم البلاد الإسلامية - سخرية علنية في وسائل الدعاية والإعلام بالإسلام وتعاليمه ، ونزلاء السجون معظمهم من المنتمين إلى التيار الإسلامي ،

دون تفرقة - في معظم الأحيان - بين اتجاه وآخر . وليس من المعقول أو المقبول - إزاء هذا الواقع المرير داخليًّا وخارجيًّا - أن تبقى جهود العاملين للإسلام مبعثرة ، وقواهم مفككة .

يقول الأستاذ فتحي يكن : « إن مصيرًا مشتركًا رهيبًا ينتظر كل القوى الإسلامية ما لم تبادر إلى نسيان النفس والذات ، وتخرج من دوامة النفس والذات لتلتقي جميعًا على اللّه ، وعلى مصلحة الإسلام العليا . والمطلوب من الجميع وقفة جريئة من النفس ، صادقة مع اللّه ، مجردة من الأنانية والعصبية والحزبية وحب الذات ، وساعتئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه ، قل

عسى أن يكون قريبًا » [١] .

وإن قراءة يسيرة في تاريخ أمتنا بدءًا من عهد النبوة وما تلاه من عهود لترينا كيف كان المسلمون يقفون صفًّا واحدًا أمام عدوهم المشترك تاركين وراءهم خلافاتهم ومنازعاتهم .

وهذه بعض الأمثلة :

١ - ما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان [٢] ، أن النبي ﷺ قال لأصحابه

(١) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي (ص ٧٧) طبعة رابعة سنة ١٩٨٦م - مؤسسة الرسالة - بيروت .
(٢) أخرجه البخاري (جـ ١ - ص ٣٢١) كتاب صلاة الخوف - باب صلاة الطالب والمطلوب ، راكبًا وإيماءً - وأخرجه مسلم بلفظ الظهر بدل العصر (جـ ٣ ص ١٣٩١) كتاب الجهاد والسير - باب المبادرة بالغزو ، وتقديم أهم الأمرين .

حين عادوا من غزوة الخندق : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » . فأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي إلا في بني قريظة ، وقال البعض : لم يرد منا هذا . . . وصلوا في الطريق .

وحين بلغ النبي ﷺ الخلاف بين أصحابه لم يعب أحدًا من الطائفتين ، وانتهى الخلاف من حيث بدأ ، ووقف الجميع صفًّا واحدًا أمام اليهود - عدوهم المشترك - دون أن يحملوا معهم خلافاتهم ، يشقون بها الصف ويوهنون بها القوى .

٢ - أورد الإمام ابن كثير في كتابه

(**البداية والنهاية**) [١] خبرًا سبقت الإشارة إليه ، وفيه جاء قوله : لما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي رضي الله عنهما تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه ، فكتب معاوية إليه : « واللّه لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت . فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفأ ، وبعث يطلب الهدنة » ا هـ .

٣ - واختلف الفاروق عمر مع الصديق أبي بكر رضي الله عنهما في شأن قتال المرتدين ، ثم لم يلبث ذلك الخلاف أن زال ، وتوجهت

(١) المرجع المذكور (جـ ٨ ص ١١٩) .

الجيوش لمقاتلة المرتدين بمؤازرة الشيخين ، حتى عادت ظافرة بإذن اللّه .

ومجمل هذه القصص يؤكد على أن أي خلاف بين العاملين للإسلام ينبغي أن يطرح جانبًا إذا تواطأت قوى الشر للإحاطة بهم جميعًا .

ولكن - رغم بداهة هذه المسائل - فإن الفرقة والتنازع قد تسربا إلى صفوف العاملين للإسلام ، وكل يدعي لنفسه أنه على الحق وغيره على الباطل ، واتسعت رقعة الخلاف فيما بينهم بدرجات متفاوتة [١] ، لكن

(١) قد تطورت الأوضاع لدى بعض الجماعات إلى حد التصفية الجسدية لمخالفيهم ، وبعضهم يرى التعاون مع اليهود والنصارى والأحزاب العلمانية - في الانتخابات وغيرها - ضد إخوانهم من العاملين للإسلام في جماعات =

القاسم المشترك بين الجميع هو افتقاد الترابط ، وضياع روح الأخوة ، على حد قول الشاعر :

وما شكواي أو شكواك إلا
لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كلاًّ له أمل وسعي
وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام
ولكن الجميع بلا إمام

وقد استغل أعداء الإسلام – في الداخل والخارج على السواء – هذه الخلافات القائمة

= أو حركات تختلف معهم في المنهج أو الموقف السياسي . .

بين الجماعات الإسلامية أسوأ استغلال .

فعلى الصعيد الخارجي عمل أعداء الإسلام على إذكاء نار الفتنة بين هذه الجماعات ، وقد مرت بنا محاولاتهم ضرب الجهاد الأفغاني في بداياته بإشعال نار الفتنة بين الأفغان والعرب بدعوى أن العرب جاءوا إليهم لنشر الفكر الوهابي في مقابل المذهب الحنفي .

وعلى الصعيد الداخلي استغلت الأحزاب العلمانية هذه الخلافات لرفض الشريعة الإسلامية بحجة أن الخلافات شديدة بين المنادين بها ، وقد قال أحدهم للإسلاميين يومًا : احسموا أموركم ، واقطعوا خلافاتكم قبل أن تأتوا إلينا .

وقد اجتهد الفريقان في التحريش بين هذه الجماعات والحكومات القائمة في الدول الإسلامية بواسطة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، مما عرض هذه الجماعات لفتن كانت في غنى عنها لو توحدت صفوفها .

ونستخلص من هذا أن الخلاف بين أبناء الجماعات الإسلامية قد ترتب عليه عدة سلبيات ، نذكر منها :

١ – أنه أعان أعداءنا علينا ، وأقر أعينهم بانشغالنا بأنفسنا عنهم .

٢ – أنه صار فتنة تصد الناس عن سبيل اللّه ، حين ينظرون فيجدون دعاة الوحدة والألفة أبعد الناس عن الالتزام بها والسير على

منهاجها . وإصلاح هذا الخلل – وإن بدا عسيرًا – ليس بالأمر المستحيل ، لا سيما وأننا نخاطب فئة مؤمنة ، يبدو في سلوكها حب اللّه ورسوله ، والعمل الصالح للإسلام والمسلمين .

وإسهامًا مني في الخروج من هذا المأزق أضع بين يدي الإخوة العاملين نقاطًا محددة ، وأقوم بمناقشتها ، ومن خلالها يمكن الوصول إلى كلمة سواء بإذن اللّه تعالى هذه النقاط هي :

١ – ما هو السبب وراء اختلاف الجماعات الإسلامية ؟

٢ – ما هي الآداب التي ينبغي مراعاتها في ظل هذا الاختلاف ؟

٣ - من هم أهل السنة والجماعة من هذه الجماعات ؟ ومن هي الفرقة الناجية منهم ؟

١ - ونبدأ بالإجابة على النقطة الأولى .

بادئ ذي بدء نقرر أن الخلاف القائم بين أغلب فصائل العمل الإسلامي لم يتطرق إلى الأصول الاعتقادية أو العملية ، بمعنى أننا لا نجد من هؤلاء من يتبنى الدعوة إلى بدعة مغلظة كالجبر والقدر والتجهم والرفض ونحو ذلك - باستثناء من رفعوا لواء التكفير - وإنما ينتسب الجميع إلى أهل السنة والجماعة ، ويلتزمون بالقرآن والسنة وإجماع الأمة ، ويقتدون بفقه الأئمة الثقات كالأئمة الأربعة وأمثالهم ، ويعتمدون في إثبات

السنن على كتب الحديث المشهورة لدى أهل السنة كالكتب الستة ونحوها .

فمن أين نشأ الخلاف إذن ؟

وللإجابة على هذا السؤال نعود إلى الوراء قليلاً لنراقب بدء ظهور الصحوة الإسلامية في أوائل القرن الحالي إثر سقوط الخلافة الإسلامية ، فقد أدركت الشعوب الإسلامية أنها مستهدفة من قبل الاستعمار في دينها وعقيدتها ، ومن ثم تعالت الصيحات بضرورة العودة إلى تحكيم كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ولبعد المسافات بين أقطار العالم الإسلامي وصعوبة الاتصال بين أقطاره وجد في كل منطقة حركة أو أكثر ، ولما

قابل الاستعمار مثل هذه المحاولات بالمطاردة والاضطهاد نشأت اجتهادات متعددة للخروج من هذا المأزق أوجدت الكثير من المنظمات والجماعات ، التي تختلف كل منها مع الأخرى في تقدير أفضل الطرق والأسباب التي يمكن أن يبدأ منها الحل الإسلامي لمشكلات هذا الواقع ، وإن كان القاسم المشترك لكل هؤلاء هو العمل على إحياء الأمة المسلمة من سباتها العميق ، فبعض هذه الجماعات يركز على جانب العقائد ونشرها بين المسلمين وبعضها يركز على جانب التربية والإعداد ، وآخرون يركزون على العمل السياسي ، وآخرون يرون العمل على إحياء السنن ، ومحاربة

البدع . . . إلخ [١] .

٢ - وإذا عرفنا السبب وراء اختلاف الجماعات الإسلامية ، وقررنا أنه بعيد عن الأصول والقواعد الكلية ، ويرتبط بالمنهج الأمثل لإعادة الأمة الإسلامية إلى ربها ودينها ، ننتقل إلى النقطة الثانية ، وهي :

الآداب التي ينبغي مراعاتها في ظل هذا الاختلاف ، ونوجز ذلك في النقطتين التاليتين :

أ - أن الولاء الخاص لحزب أو جماعة لا يكون على حساب الولاء العام للمؤمنين .

ب - ضرورة التعاون في المتفق عليه ،

(١) انظر (أهل السنة والجماعة ، معالم الانطلاقة الكبرى) محمد عبد الهادي المصري - طبعة رابعة سنة ١٩٨٨ م - دار طيبة - الرياض .

والتماس العذر في المختلف فيه .

وذلك أن الإنسان يختلف أحيانًا مع والده أو من هو أفقه أو أكبر منه ، ولا يحمله هذا الاختلاف على خرق سياج الأدب مع هؤلاء ممن يجب لهم الطاعة والاحترام ، فكذلك الشأن بين من اختلفت وجهات نظرهم ، فانضم بعضهم إلى جماعة ، ورأى غيرهم الانضمام لسواها ، ينبغي ألا يفسد ذلك علاقتهم ، أو يحملهم على إغفال أوامر اللّه الداعية إلى موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، حيث يقول ربنا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ... ﴾ [١] ويقول : ﴿ إِنَّمَا

(١) سورة التوبة : (٧١) .

ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١] .

فإذا خالف البعض هذا وأصر على إعلان العداوة والبغضاء لغير المنتسبين إلى جماعته أو شيخه فقد تعاطى أمرًا من أمور الجاهلية .

يقول الإمام ابن تيمية : « من والى موافقه ، وعادى مخالفه ، وفرق بين جماعة المسلمين ، وكفَّر وفسَّق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات واستحل قتال مخالفه دون موافقه ، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلاف » [٢] .

ويقول أيضًا : « من جعل شخصًا من

(١) سورة الحجرات : (١٠) .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (جـ ٣ - ص ٣٤٩) .

الأشخاص غير رسول اللّه ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة ، كان من أهل البدع والضلال والتفرق » [١] .

ويقول الأستاذ سعيد حوى رحمه اللّه : « إن المفاصلة ينبغي أن تتم بين المسلمين وغيرهم ممن ليسوا مسلمين ، أما أن تكون المفاصلة بين المسلمين أنفسهم بسبب من من اختلاف على قضية فرعية ، فهذا من أفظع الانحراف » [٢] .

ونستخلص من هذا أن العمل للإسلام

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (جـ ٣ - ص ٣٤٧) .
(٢) دروس في العمل الإسلامي (ص ٢٠) - طبعة ثانية - سنة ١٩٨٣ م - دار السلام - حلب .

في إطار جماعة من هذه الجماعات أمر لا غبار عليه ، لكن الخطأ أن يتعصب المرء لجماعة بعينها ، بحيث يقيم علاقاته مع الآخرين - قربًا أو بعدًا - بمدى اتصالهم بهذه الجماعة ، ويترتب على ذلك تشقيق الصف المسلم ، وانهيار وحدته ، ولا يخفى ما في هذا المسلك من الخطورة .

وبعد أن بينا إمكانية العمل للإسلام في إطار جماعة بعينها ، مع ضرورة عدم التعصب لصالح هذه الجماعة ضد الآخرين نشير إلى ضرورة فتح الطريق أمام التعاون المتبادل فيما بين جميع الطوائف ، وذلك في إطار المتفق عليه فيما بينهم ، وهي أمور ليست قليلة أو هينة ، بل هي كما يقول الشيخ

محمد الغزالي : « تقيم أمة لها مكانتها في الدنيا والآخرة » [١] .

أما المسائل المختلف عليها - وهي قليلة بالنسبة لما اتفق عليه - فالأحرى أن نسلك فيها مسلك السلف الصالح رضوان اللّه عليهم ، والمتمثل في عدم الإنكار أو الهجر لمن تبنى قولاً منها دون قول .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن تقليد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد ، هل ينكر على من قلد أحدها أو يهجر ؟ فأجاب قائلاً : « الحمد للّه ، مسائل الاجتهاد من عمل فيها

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين (ص ٥١) طبعة ثانية سنة ١٩٨٨ م - دار الوفاء للطباعة والنشر - جمهورية مصر العربية .

بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه ، فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به ، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين » [١] .

ويبين أن الاختلاف في الفروع واقع لا محالة ، ومخاصمة الإنسان لغيره بسبب هذه الخلافات سيقضي على أية أخوة إسلامية بينه وبين الآخرين ، فيقول : « وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة » [٢] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (جـ ٣ - ص ٣٤٧) .
(٢) نفس المرجع (جـ ٢٤ - ص ١٧٣) .

وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا - حين نتحاور مع أهل الكتاب - إلى أن نجعل مواطن الاتفاق منطلقًا للحوار بيننا وبينهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [١] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ﴾ [٢] .

فإذا كان هذا واجبًا على المسلم حيال من يخالفونه في عقيدته وأصل دينه ، فكيف بأخيه المسلم الذي رضي باللّه ربًّا ،

(١) سورة العنكبوت : (٤٦) .
(٢) سورة البقرة : (١٣٩) .

وبالإسلام دينًا ، وبمحمدًا نبيًّا ورسولاً ؟

وقد جاء في مأثور الحكمة : « الاجتماع على الصواب خير من التفرق على الأصوب ، والاجتماع على نصف الحق خير من التفرق على الحق كله » .

فما أجمل أن يترسم العاملون للإسلام هذه الخطى ، لا سيما وأن الحقل الإسلامي متسع ، والجهود المطلوبة لبذلها فيه كثيرة ، وليس في وسع جماعة بعينها أن تستوعب الناس جميعًا ، مع افتراض أنهم مختلفون في اهتماماتهم وتوجهاتهم ، فلم يبق إلا التكامل والتنسيق ليسد كل منهم ما عجز الآخر عنه .

وربما كان من المناسب أن أختم هذه النقطة

بذكر بعض الأمثلة العملية لشيخين جليلين من رواد الحركة الإسلامية في العصر الحديث ، **وهما الشيخ حسن البنا ، والشيخ أبو الأعلى المودودي** لعل في ذلك ما يكون تذكرة وعبرة لنا .

١ - تزامن ظهور دعوة الإخوان المسلمين على يد الشيخ حسن البنا بظهور جماعات أخرى ، منها جمعية الشبان المسلمين ، والجمعية الشرعية ، وغيرهما .

وقد بين الشيخ حسن البنا في كلماته وتوجيهاته موقفه من هذه الجماعات والجمعيات فيقول : « الإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الإسلام ، وهم يتمنون لها

جميعًا النجاح ، ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاجهم التقرب منها ، والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة » .

ويضيف قائلاً : « كثيرًا ما يرد على أذهان الناس هذا السؤال : ما الفرق بين جماعة الإخوان وجماعة الشبان ؟ ولماذا لا يكونان هيئة واحدة ، ويعملان على منهاج واحد ؟

وأحب قبل الجواب على هذا السؤال أن أؤكد للذين يَسُرُّهُمْ وحدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان لا يشعرون بأنهم في ميدان مناقشة ، لكن في ميدان تعاون قوي وثيق ، وأن كثيرًا من القضايا الإسلامية العامة يظهر فيها الإخوان والشبان شيئًا واحدًا

وجماعة واحدة ، إذ أن الغاية العامة مشتركة ، وهي العمل لما فيه إعزاز للإسلام والمسلمين ، وإنما تقع فروق يسيرة في أسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها ، وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين . . . » [١] .

وذكرت مجلة لواء الإسلام القاهرية في أحد أعدادها أن الشيخ حسن البنا - رحمه اللّه - سئل يومًا : ما الفرق بينكم وبين الجمعية الشرعية ؟

فأجاب قائلاً : « نحن في الدرب الأحمر ، وهم في المغربلين » [٢] .

فقال البعض : إنهم يبنون المساجد ،

(١) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا (ص ٢٨٦ رسالة المؤتمر الخامس - طبعة دار الشباب - القاهرة » .
(٢) الدرب الأحمر والمغربلين منطقتان من مناطق القاهرة .

فماذا أنتم تفعلون ؟

فأجاب قائلاً : « هم يبنون المساجد ، ونحن نصلي فيها » اهـ .

٢ - وأما الشيخ أبو الأعلى المودودي فقد ظهر في شبه القارة الهندية داعيًا إلى فكر الجماعة الإسلامية وحوله دعوات أخرى من أهمها جماعة التبليغ .

وقد سئل الشيخ أبو الأعلى المودودي عن رأيه في جماعة التبليغ ، فأجاب قائلاً : « إنهم يسدون عنا ثغرة لا نستطيع سدها ، وإننا لا ننتقدهم ، ولكن فيهم من ينتقدنا » [١] .

(١) وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع (ص ٥١) دكتور / محمد أبو الفتح البيانوني - طبعة أولى ١٩٨٨م .

وبهذا الأسلوب ينظر إلى التعدد القائم على أنه تعدد تنوع وتخصص ، وليس تعدد تضارب وتنازع ، مما يوجب على الجميع التراحم والتغافر والتناصح ، والتعاون فيما اتفق عليه ، والتماس العذر فيما اختلف فيه .

جاء في كتاب (مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي في مسيرة الجماعات الإسلامية) ما نصه [١] : « لابد من التأكيد على أن التعدد القائم في ساحة العمل الإسلامي تعدد تنوع وتخصص وأن عمل فصيلة منهم في مجال لا يلغي عمل الفصائل الأخرى في بقية المجالات ، وأن كل هذه الفصائل يجب أن تعمل في تكامل

(١) المرجع المذكور (صـ ٦٤) - د . صلاح الصاوي .

وتعاضد ، وأن تتبادل فيما بينها التسديد والتناصح ، وأن اللّه قد قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فهذا فتح عليه في الجهاد ، وهذا فتح عليه في طلب العلم أو تعليمه للناس ، وهذا فتح عليه في أمر التربية ، وهذا فتح عليه في أمر البحث العلمي والدفاع بقلمه عن الإسلام ، وهذا في باب العمل السياسي ومقارعة المبطلين من حكام ، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ، وإحقاقًا للحق ، وإبطالاً للباطل ، وهكذا .

ويجب أن يقنع كل بما قسم له ، وأن يثني على الآخر بخير ما يعلم ، وأن ينصحه سرًّا بما يرى ضرورة لأن ينصحه فيه ، وأن يسود بين العاملين للإسلام من التراحم

والتغافر والتناصر وإقالة العثرات ما يكونون معه أهلاً لنصر اللّه وتوفيقه .

وبدون هذا التعاون والتآزر ، والإصرار على إعلان الحرب على المخالفين تذهب أعمال الإنسان سُدًى ، ولا تُرْفَعُ فوق رأس صاحبها شبرًا .

يقول الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر ﷺ : « واللّه لو صمت النهار لا أفطره ، وقمت الليل لا أنامه ، وأنفقت مالي غلقًا غلقًا في سبيل اللّه ، أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة اللّه ، وبغض لأهل معصية اللّه ؛ ما نفعني ذلك شيئًا » [١] .

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٥ - ص ٩٣٠) - طبعة دار الشعب .

٣ - وبعد أن عرفنا السبب في اختلاف الجماعات الإسلامية ، وبينا الآداب التي ينبغي مراعاتها في ظل هذا الاختلاف نعود إلى النقطة الثالثة ، وهي : « **من هم أهل السنة والجماعة من هذه الجماعات ؟ ومن هي الفرقة الناجية منهم ؟** .

وتبدو أهمية التعرف على إجابة لهذا السؤال في أن كل طائفة تعمل في الحقل الإسلامي ترى نفسها أنها الطائفة التي جاء في الحديث أنها قائمة بأمر اللّه حتى تقوم الساعة ، وأنها الجماعة التي أمرت السنة بالالتجاء إليها عند وقوع الفتن ، وأنها الفرقة الناجية التي جاء ذكرها في بعض الأحاديث .

وادعاء كل طائفة لنفسها مثل هذا تضييق

لما وسعه اللّه ، ومصادرة لحكم رسول اللّه ﷺ ، ولن يترتب على ذلك إلا مزيد من تشقق الصف المسلم ، وتمزيق وحدته ، وفاعل ذلك آثم لا محالة .

والأولى أن نعود في تحديد المراد بهذا إلى ما قاله الأئمة المحققون ، والعلماء الربانيون ، والذين تلقت الأمة كلامهم بالقبول .

يقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم [١] في بيانه للطائفة المنصورة : « وأما هذه الطائفة فقال البخاري : هم أهل العلم . وقال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ قال القاضي

(١) المرجع المذكور (جـ ١٣ / ٦٦ - ٦٧) .

عياض : إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث » .

يقول الإمام النووي بعد هذا : « ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون مفرقين في أقطار الأرض » [١] اهـ .

(١) ليس هناك تعارض بين ما فسر به الإمام البخاري والإمام أحمد المراد بالطائفة المنصورة ، وبين ما ذكره الإمام النووي في المراد بهذه الطائفة ، وذلك أن الإمام البخاري والإمام أحمد قد نظر كل منهما في الطائفة التي عناها فوجدها تجمع بين العلم والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغير ذلك فقصر الوصف عليهم ، وجاء تفسير =

وفي بيان المراد بأهل السنة والجماعة **يقول الإمام ابن تيمية** : « فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة » [١] .

وأما ما يتعلق بالفرقة الناجية والمراد بها فقد كفانا النبي ﷺ مؤنة البحث في هذا الشأن ، حين قال : « **هي ما أنا عليه وأصحابي** » [٢] .

والذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه هو التوحيد الخالص للّه تبارك وتعالى وما يلزم ذلك من أقوال وأعمال ، وهو قاسم مشترك بين كافة العاملين في مجال الدعوة ، وإنما

= الإمام النووي للمراد بالطائفة المنصورة شاملاً لجماعات من الناس توفر كل منهم على جانب من هذه الجوانب ، بحيث يكمل بعضهم بعضًا وإذن فلا تعارض ، واللّه أعلم .
(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (جـ ٣ - ص ٢٤٥) .
(٢) أخرجه الترمذي وحسنه (جـ ٤ - ص ١٣٥) .

الخلاف - كما سبق وأن بينا - يتعلق بأفضل السبل لعودة الأمة إلى دينها وربها .

ونستخلص من هذا الذي ذكرناه وما نقلناه عن الأئمة الأعلام - رضوان اللّه عليهم - أن الذين ورد ذكرهم في الأحاديث أعم من أن يكونوا فئة مخصوصة ، أو طائفة بعينها ، وإنما يجوز إطلاقها على الجميع ، وإطلاقها على فئة معينة تخصيص بغير مخصص ، ودعوى بغير دليل .

وفي ختام هذا البحث أسوق هذه المقترحات - والتي تعد بمثابة ورقة عمل - لتوحيد الجماعات الإسلامية ، وتضييق شقة الخلاف بينها ، ومعظمها - إن لم يكن كلها - سبقت الإشارة إليه في النقاط السابقة ، وآمل

من اللّه تبارك وتعالى أن تجد هذه المقترحات صداها لدى العاملين للإسلام فتتوحد جهودهم ، ويزول الشقاق من بينهم .

وهذه المقترحات هي :

١ - إبراز القواسم المشتركة بين فصائل العمل الإسلامي ، والتركيز عليها وتنميتها ، والتعاون على ذلك .

٢ - الأخذ بمبدأ الإعذار في مواطن الاختلاف التي يجوز فيها الاجتهاد ، وقبول التعدد للجماعات الإسلامية بناء على هذا ، واعتبار كل جماعة تقوم بفرض من فروض الكفاية تسد به ثغرة لا تقدر الأخرى عليها .

٣ - تعميق مفهوم أن العمل الإسلامي

من خلال فصيلٍ مَّا ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة تعين على إعادة الصلة المفقودة بين الناس ودينهم ، وبالتالي تتحرر العقول من الحزبية والعصبية المقيتة ، ولا ينسيها الولاء الخاص للجماعة الولاء العام للمؤمنين .

٤ - إشعار المسلمين بالخطر المحدق بهم ، والمكر المدبر لهم ، وذلك لإيقاظ الحس المسلم بالحاجة إلى وحدة الصف في مقابل عدوٍّ لا يفرق بين مسلم من فصيل ، وآخر من غيره .

٥ - فتح باب الحوار بهدف التناصح ، والاستفادة من تجارب الآخرين ، فالمؤمن مرآة أخيه ، وهذا من شأنه أن ينفي من

النفوس داء العجب ويحمل على الاعتراف بالفضل لأصحابه في أية جماعة كانوا .

ويا حبذا لو أخذ هذا المقترح صورة عملية كالاشتراك في مشروعات خيرية على اختلاف أشكالها ، والسعي لإيجاد قيادة مشتركة ممثلة لجميع الأطراف المتعاونة ، والتزام الجميع بقرار واحد مشترك ، مع احتفاظ كل طرف وجهة بكيانه التنظيمي ، وذلك على نحو ما يحدث بين الجامعات ، إذ يوجد لكل الجامعات مجلس أعلى مشترك ، ويكون لكل جامعة مجلسها ونظامها الخاص بها ، ولكل مجلس رجاله وميدانه .

إن وحدة الأمة الإسلامية رهن بوحدة

علمائها والعاملين للإسلام فيها وإن أي وحدة لا تقوم على هذا الأساس إنما هي وحدة شكلية ، مهددة بالانهيار ومعاول هدمها في يد أبنائها قبل أن تكون بيد أعدائها [١] .

فلعل العاملين للإسلام يدركون هذه الحقائق ، حتى لا يبوءوا بإثم أنفسهم ومجتمعاتهم .

واللّه تعالى من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) انظر (وحدة العمل الإسلامي) ص ٨٤ ؛ ص ١٠٣- د . محمد أبو الفتح البيانوني .

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي استهدفت داء الفرقة ، وما يتعلق بها من أضرار وأسباب ومظاهر في حياتنا نحن المسلمين أعود فأقول :

إن مأساة العصر الذي نعيشه أن المبادئ الإنسانية فيه قد توارت ، وحل محلها منطق القوة ، وساد قانون الغاب ، ولم يعد أحد يسمع لأصوات الضعفاء ، ولا لأنين الجرحى .

وبالتأمل نجد أن معظم الضحايا - إن لم يكن كلهم - من أبناء الأمة الإسلامية ، والتي لا يزال أعداؤها يتدافعون نحوها ، وكلهم طمع في أن ينالوا نصيب الأسد من القصعة ، التي لا تزال - في نظرهم -

حافلة بصنوف الطعام .

وقد جرب المسلمون اللجوء إلى مجلس الأمن ، وهيئة الأمم ، ومحكمة العدل ، وسائر هذه المؤسسات التي تبدو حيادية في ظاهرها ، فإذا بها تطفح بالكراهية والعداء للمسلمين دون خفاء أو حياء .

وبدا توقع أي خير منهمو

كتوقع للماء في رمضاء

وإذا كانت حكمة اللّه ومشيئته قد ربطت مستقبل الإسلام بجهود أبنائه لا بإرادة أعدائه ، فإن محنة المسلمين المعاصرة يسهم المسلمون فيها بنصيب موفور - إن لم يكن بكل النصيب - بدلالة قوله تعالى في شأن كيد الأعداء

وتدبيرهم : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١) .

ومن هنا فقد بات في حكم الضرورة أن يلم المسلمون شملهم ، ويعيدوا بناء أمتهم لا على أساس خطوط الطول والعرض ، بل على أساس كلمة التوحيد : (**لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه**) .

ويزيد من هذه الضرورة أن أعداءنا - رغم عمق الخلافات بينهم - قد جمعوا صفوفهم ، ووحدوا كلمتهم ، وأحد الأسباب الرئيسية في هذا رغبتهم في الانتقام من المسلمين ، ومحو وجودهم في ظل النظام العالمي الجديد ، بحيث يصبحون أثرًا بعد عين ، وشكلاً بلا مضمون .

(١) سورة آل عمران : (١٢٠) .

فإذا أضفنا إلى أن إزالة أسباب الفرقة هو حكم الضرورة كونه أيضًا حكم الإسلام الذي ندين به للّه ، بحيث يمكن القول بأنه لا يوجد دين دعا أهله إلى الوحدة ونبذ الفرقة كالدين الإسلامي ؛ إذا علمنا هذا تأكد لدينا أنه لا مناص لنا - نحن المسلمين - من توحيد صفوفنا إذا أردنا عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وإذا كانت رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة - كما في المثل - فإن دعاة الإسلام والعاملين له هم أولى الناس بدءًا بهذا ، بحكم ما توفر لديهم من علم عن خطر الفرقة وضررها ، وكونهم جميعًا مستهدفين من عدو يرميهم بقوس واحدة ، دون تفرقة بين إنسان وآخر ، وإن فرقتهم أيام الرخاء أهل لأن يجتمعوا في ساعة الشدة ؛ ولأن

تحقيق الأهداف الكبرى المنوطة بعنق هذه الأمة لا يمكن أن تضطلع بها جهة دون أخرى ، بل لابد من تجميع الجهود وتوحيد الصفوف ، والمعلوم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وختامًا :

أسأل اللّه العلي القدير أن يجمع شمل المسلمين ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويجعلهم سلمًا لأولياء اللّه ، حربًا على أعدائه ،

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

المؤلف
الدكتور طلعت محمد عفيفي
عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

المراجع

القرآن الكريم :

١ - أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي - فتحي يكن - طبعة رابعة سنة ١٩٨٦ م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٢ - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - طبعة دار الشعب .

٣ - الأخوة الإسلامية - عبد اللّه ناصح علوان - الطبعة السادسة سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م طبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

٤ - أدب الاختلاف في الإسلام - طه جابر فياض العلواني - طبعة ثانية - سنة ١٩٨٧ م - إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٥ - الإسلام - سعيد حوى - الطبعة الرابعة - سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م - طبعة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .
٦ - الاعتصام - الشاطبي - طبعة سنة ١٩٨٢ م - دار المعرفة - بيروت - لبنان .
٧ - الأقليات المسلمة في العالم ، ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها - من أبحاث المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض سنة ١٩٨٦ م .
٨ - أهل السنة والجماعة ، معالم الانطلاقة الكبرى - محمد عبد الهادي المصري - طبعة رابعة سنة ١٩٨٨ م - دار طيبة - الرياض .
٩ - البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - طبعة رابعة - سنة ١٩٧٨ - دار الفكر - بيروت .
١٠ - جند اللّه ثقافة وأخلاقًا - سعيد حوى - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
١١ - حاضر العالم الإسلامي - د / علي جريشه - طبعة رابعة سنة ١٩٨٩ م - دار

المجتمع - جدة .
١٢ - حاضر العالم الإسلامي د / جميل عبد اللّه المصري - طبعة ثانية سنة ١٩٨٩ م - دار أم القرى - السعودية .
١٣ - خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية - عبد الرحمن عبد الخالق - طبعة ثانية سنة ١٩٨٦ م - الدار السلفية - الكويت .
١٤ - دروس في العمل الإسلامي - سعيد حوى - طبعة ثانية سنة ١٩٨٣ م - دار السلام - حلب .
١٥ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين - محمد الغزالي - طبعة ثانية سنة ١٩٨٨ م - دار الوفاء - مصر .
١٦ - الزحف إلى مكة - الدكتور عبد الودود شلبي .
١٧ - سنن الترمذي - طبعة دار إحياء

التراث العربي .
١٨ - الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم - دكتور يوسف القرضاوي - طبعة أولى سنة ١٩٩٠ م - دار الصحوة - القاهرة .
١٩ - صحيح البخاري - طبعة ثالثة سنة ١٩٨٧ م - بتحقيق الدكتور مصطفى البغا - دار اليمامة للطباعة والنشر - دمشق .
٢٠ - صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - طبعة أولى سنة ١٩٨٩م - المكتبة الإسلامية - بيروت .
٢١ - صحيح سنن النسائي - محمد ناصر الدين الألباني - طبعة أولى سنة ١٩٨٨ م - المكتب الإسلامي - بيروت .
٢٢ - صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة أولى سنة ١٩٥٦ م -

مطبعة عيسى الحلبي .
٢٣ - قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله - جلال العالم - طبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
٢٤ - القومية ثورة على الإسلام - د / محمد يحيى - طبعة المختار الإسلامي .
٢٥ - لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف بمصر .
٢٦ - مؤامرات سفهاء صهيون - أحمد نصر اللّه المصري - بدون تاريخ أو اسم مطبعة .
٢٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
٢٨ - مجموع رسائل الشيخ حسن البنا - طبعة دار الشهاب بالقاهرة .
٢٩ - محاضرات الموسم الثقافي (١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ) بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
٣٠ - مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي

في مسيرة الجماعات الإسلامية - د / صلاح الصاوي - بدون تاريخ أو اسم مطبعة .

٣١ - مسند الإمام أحمد - طبعة دار صادر - بيروت .

٣٢ - مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين - محمد العبدة وطارق عبد الحليم - طبعة ثانية - سنة ١٩٨٦ م - دار الأرقم - الكويت .

٣٣ - موقف الإسلام من الفتن والتآمر - محمد بهي الدين سالم - من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - العدد ٥٢ - سنة ١٩٦٥ م - السنة الخامسة .

٣٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - طبعة المكتبة الإسلامية - بدون تاريخ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١ - المقدمة	٣
٢ - الفصل الأول : الآثار السلبية للفرقة ودور الإسلام في مواجهتها	١٩
٣ - الفصل الثاني : أسباب وقوع الفرقة بين المسلمين	٦٧
أولاً : الأسباب المؤدية إلى الفرقة من خارج المسلمين	٧٤
١ - الشيطان	٧٤
٢ - أعوان الشيطان من الآدميين	٧٨
ثانيًا : الأسباب المؤدية إلى وقوع الفرقة من داخل المسلمين	١٣٥
٤ - الفصل الثالث : مظاهر الفرقة في حياة المسلمين	١٥٥
أولاً : ضياع الرابطة الإسلامية ، وشيوع القوميات المحلية	١٦٠
ثانيًا : غياب روح الأخوة بين المتدينين ، وتسلل داء الفرقة إلى صفوفهم	١٩٨
٥ - الخاتمة	٢٣٩

نبذة عن المؤلف

- هو : الدكتور : طلعت محمد عفيفي من مواليد الجيزة بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٥٣ م .

- تخرج من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م ، وكان ترتيبه الأول على دفعته .

- واصل دراسته العليا بذات القسم والكلية حتى حصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٦ م ، وكان موضوعها : القصة في السنة النبوية ، وأثرها في مجال الدعوة الإسلامية .

- عمل معيدًا منذ تخرجه بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، وتولى فيها رئاسة قسم الثقافة الإسلامية لمدة سنتين ، ثم عين عميدًا

لهذه الكلية سنة ٢٠٠١ م .

- أعير للعمل بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بجمهورية باكستان الإسلامية لمدة ست سنوات في الفترة من ١٩٩١ م وحتى ١٩٩٧ م .

- له عدة مؤلفات يتداولها الجمهور وينتفعون بها ، ومن أهمها :

(أ) أخلاق الدعاة إلى اللَّه تعالى النظرية والتطبيق .

(ب) فضل حفظ القرآن الكريم وتحفيظه ، وأخلاق حملة القرآن .

(جـ) مدخل إلى التعليم في ضوء الإسلام .

(د) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية - دراسة تاريخية وتربوية .

(هـ) نظرات في مسيرة التاريخ الإسلامي - دراسة تاريخية تربوية .

(و) المسلمون وداء الفرقة .

هذا إلى جانب بعض الرسائل الصغيرة ، والأبحاث المنشورة في المجلات العلمية ، مع القيام بواجب الدعوة في المساجد ودور تحفيظ القرآن الكريم .

(٧) أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة الأزهر والجامعة الإسلامية العالمية بباكستان .

رقم الإيداع
2001/11882
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 342 - 016 - 7

تعريف بالكتاب

دأب أعداء الإسلام على ألا تعود للإسلام
والمسلمين مكانتهم المرموقة التي سادوا بها
العالم . فقاموا بغزو المسلمين فكريًا وثقافيًا ؛
وذلك بهدف إبعادهم عن دينهم وإقصائهم عن شريعتهم ، وقد جاء هذا الكتاب ليعالج مشكلة تمزيق وحدة الصف الإسلامي والفرقة بين المسلمين في أرجاء الأرض ، وكيف تمكن أعداء الإسلام من بث الفرقة بين المسلمين ، كما بين الكتاب الآثار السلبية للفرقة ، وموقف الإسلام منها ، وأسباب وقوعها ، ومظاهرها في حياة العامة والمتدينين ، وما هو السبيل الأمثل إلى تحقيق وحدة المسلمين علميًا واقتصاديًا واجتماعيًا ، وسياسيًا وعسكريًا ، وقد وضح الكتاب أن العصر الحديث يشهد صحوة إسلامية عالمية يعترف بها القاصي والداني ، ومحاولة أعداء الإسلام القضاء على هذه الصحوة وكيفية مجابهة ذلك والتغلب عليه .

* * *